السيرة الشعبية
للحلّاج

دراسة وتحقيق

رضوان السح

دار صادر
بيروت

السيرة الشعبية
للحلّاج

الطبعَة الأولى
1998

تأسست سنة ١٨٦٣

COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر
ص. ب ١٠ بيروت ، لبنان

Tel & Fax (+961) 04.920978 / 04.922714 / 01.448827 هاتف وفاكس

تقديم

حِينَ سمعت من أحدهم بأن الجُنيد قد رجم الحلاج عند إعدامه بوردة حمراء فتألم لها أكثر مما تألم من جميع الحجارة التي رجمه بها الناس أعجبني هذا الخبر، وليس مصدر إعجابي أن يتألم الحلاج من وردة أكثر مما يتألم من حجر، فأخبار الحلاج تعج بطرائف مثل هذه وأغرب.

لقد كان مصدر إعجابي وعجبي هو هذا التحدي الكبير لمعطيات التاريخ المتفق عليها، وهي أن الجنيد قد توفي قبل مقتل الحلاج بما يزيد عن عشر سنوات.

وبعد أن سمعت هذا الخبر ثانية أصبحت في شوق إلى معرفة مصدره، وهكذا بحثت ووصلت إلى السيرة الشعبية للحلاج (قصة حسين الحلاج)، ورأيت فيها مادة خصبة لما كنت قد بدأته في دراستي المقدمة لكتاب الحلاج (الطواسين وبستان المعرفة)، وما بدأته هو التعرف إلى شخصية الحلاج الأسطورة أو الرمز، ومعرفة موقع هذه الشخصية في الوعي الشعبي، هذه المعرفة التي لا تقل أهمية ـ إن لم تكن تفوق ـ عن مسألة التلمس عبر الوثيقة التاريخية وذلك لأن هذه الشخصية ميتة في الوثيقة، وحية فاعلة في الوعي.

ورأيت في السيرة الشعبية مادة أكثر أهمية من غرائبيات الكتب الرسمية، وذلك لأنها تمثل ـ برأيي ـ خلاصة نهائية لما مكث في الوجدان الشعبي بعد غربلة طويلة

نسخ الكتاب

ذكر الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابة الهام «الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً» نسختين من هذه السيرة.

١ ـ «قصة حسين الحلاج وما جرى له حين ثار فيه الوجد» بنشر ماسينيون ـ مجلة الدراسات الشرقية بجامعة أبسالا في السويد ـ مجلد/ ٣/ العدد/ ٤٢٢/ سنة ١٩٥٤ م.

٢ ـ «قصة حسين الحلاج وما جرى له مع علماء بغداد» مطبوعات المكتبة الأدبية في حلب ـ بدون تاريخ.

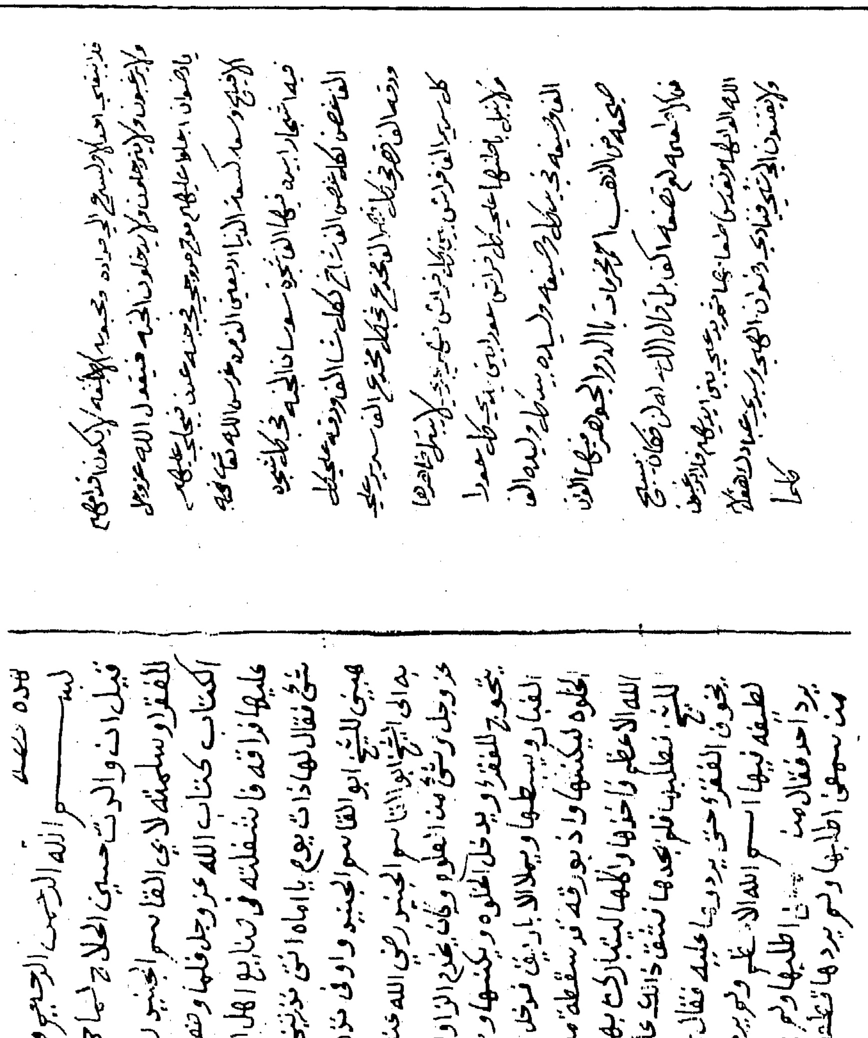
وللأسف لم يَتَسَنَّ لي الاطلاع على هاتين النسختين، ولكن من خلال ما أوردهُ الدكتور الشيبي منها لم تظهر إلا فروق طفيفة بالمقارنة مع النسخ التي بين يدي.

والنسخ التي حصلت عليها، واعتمدتها في تحقيق هذا الكتاب هي:

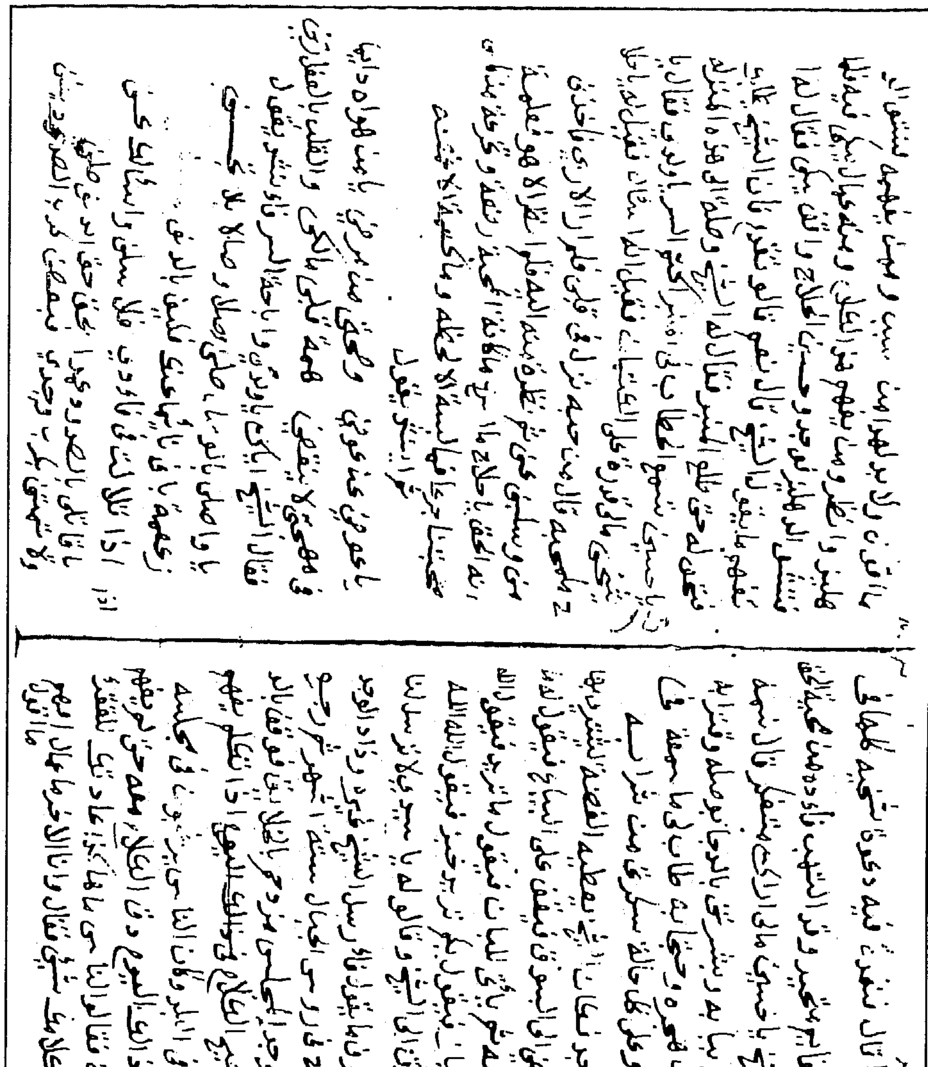
١ ـ مخطوطة محفوظة في مكتبة الأسد بدمشق برقم / ١١٢٨٢/ منقولة من المكتبة الظاهرية، ورمزنا لها بـ (ظ).

٢ ـ مخطوطة محفوظة في مكتبة الأسد بدمشق برقم/ ١٨٢٥١/ منقولة من المكتبة المولوية بحلب، ورمزنا لها بـ (م).

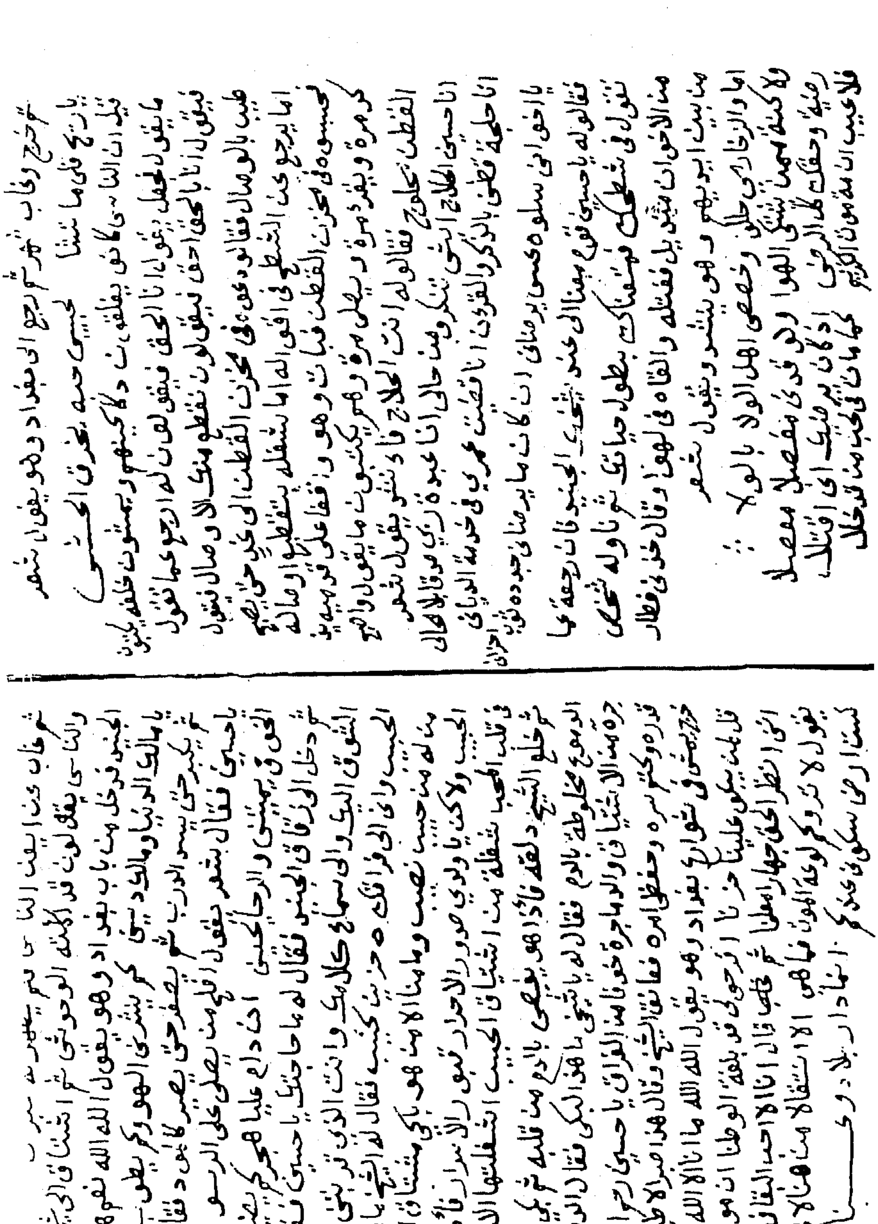
٣ ـ مطبوعة (طبعة تجارية) مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٩ م ـ ورمزنا لها بـ (ت).



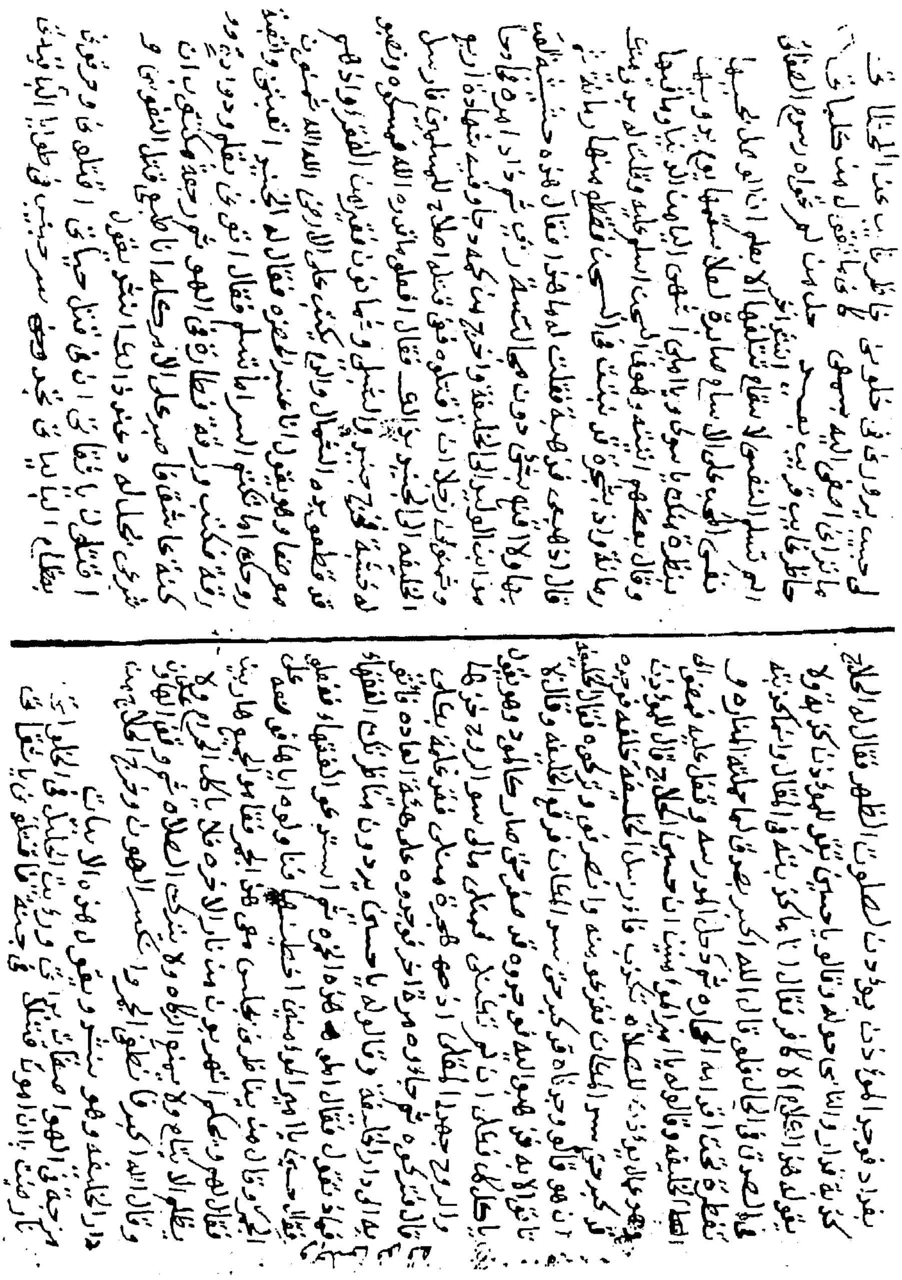
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



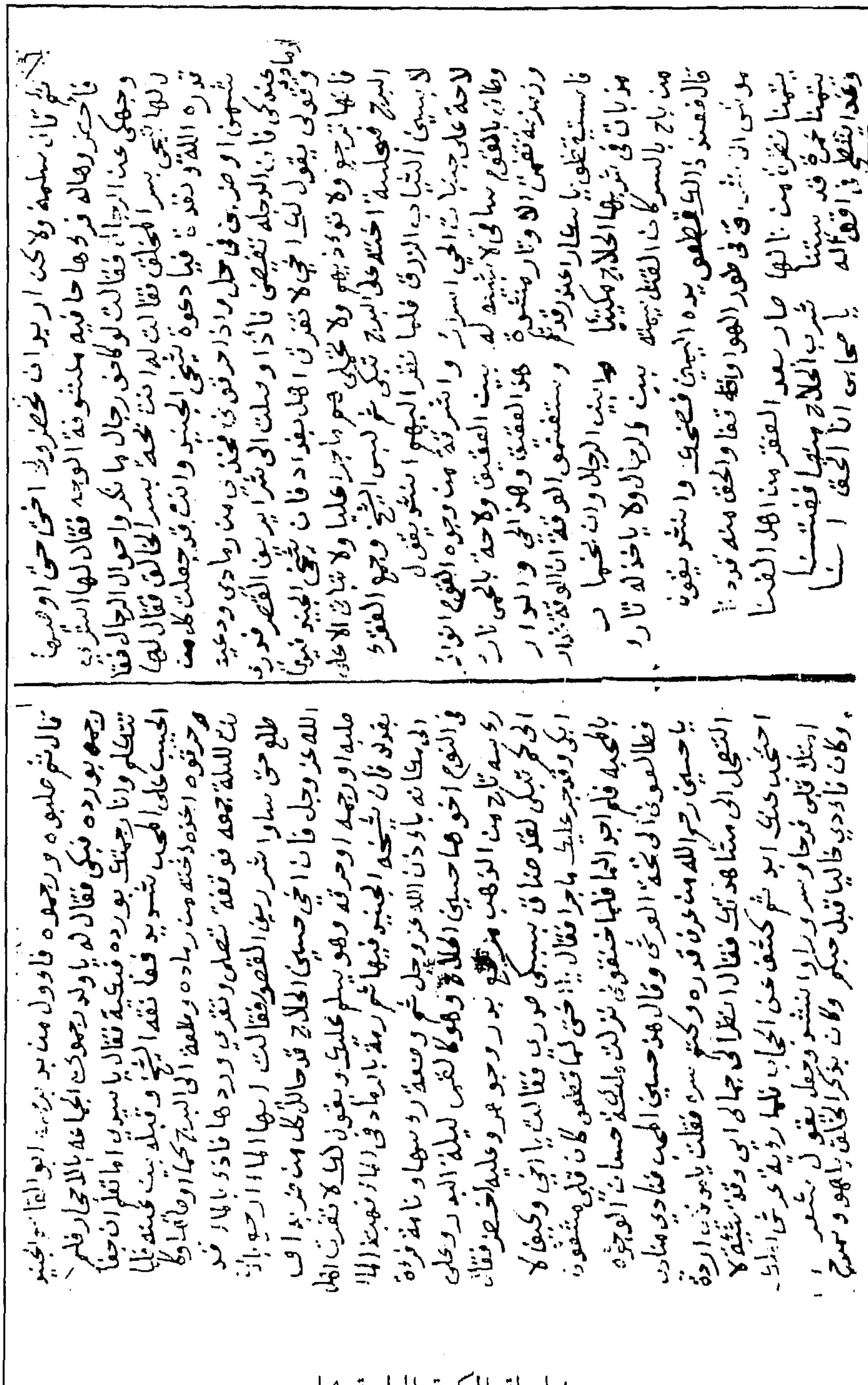
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



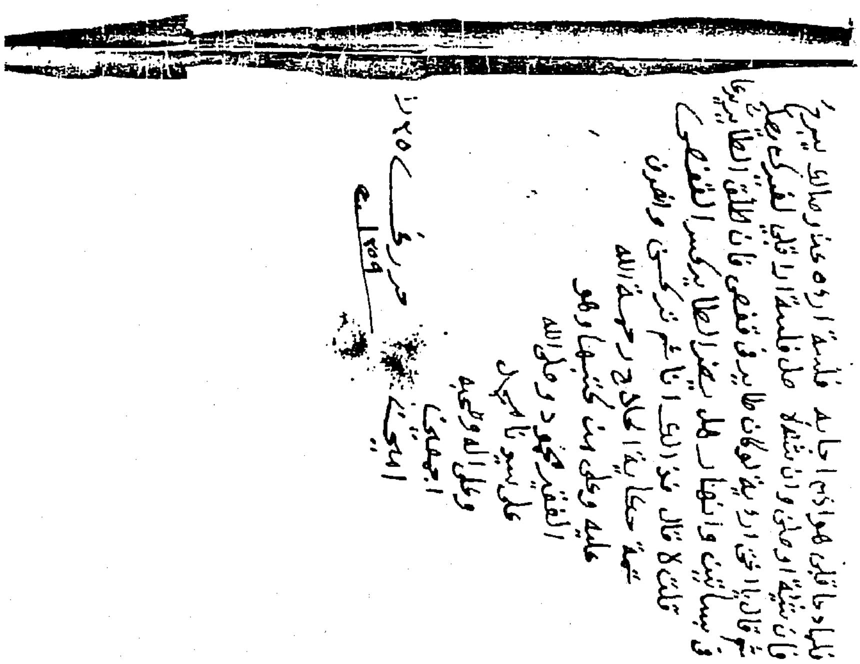
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



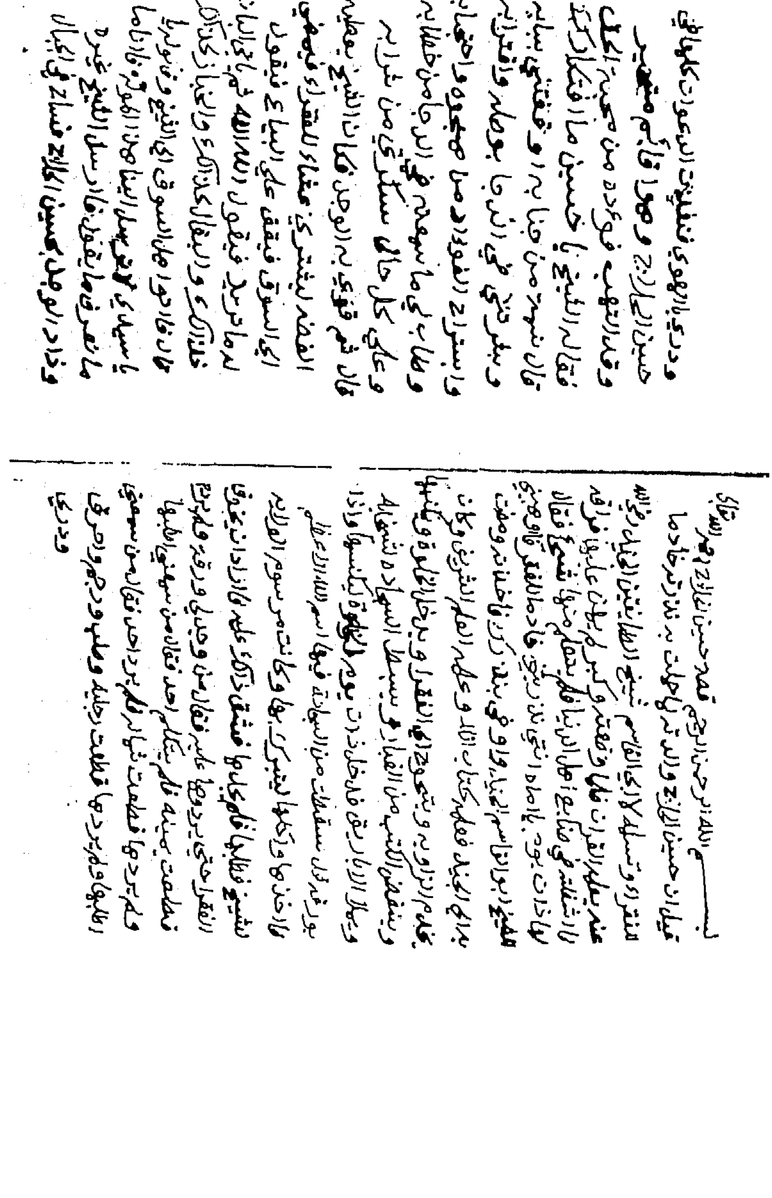
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



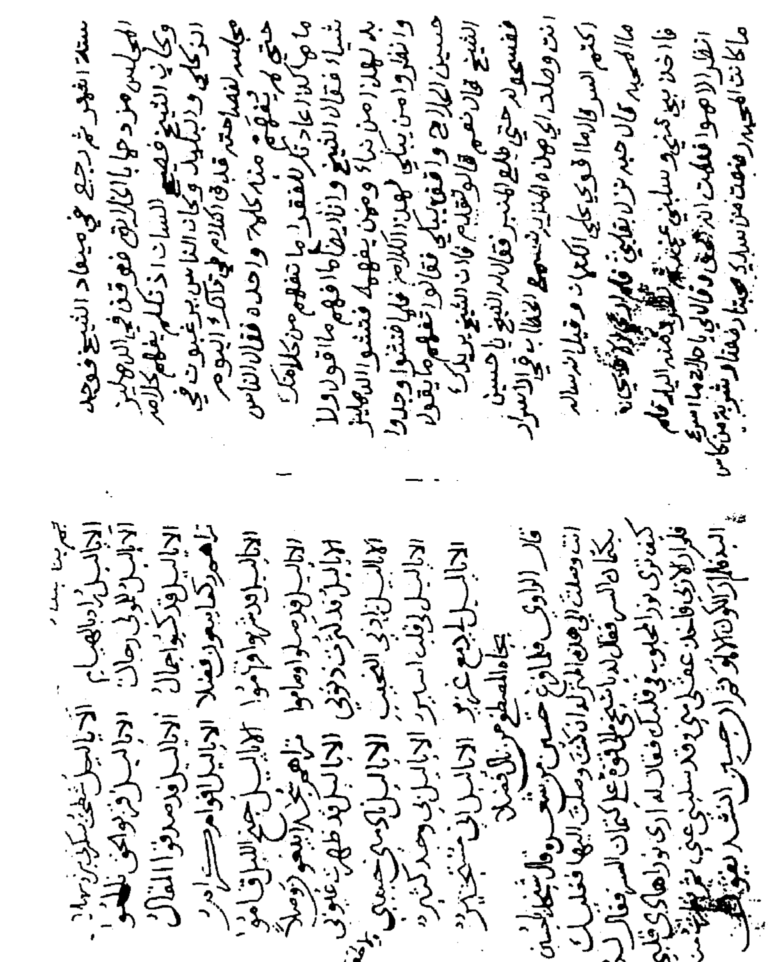
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



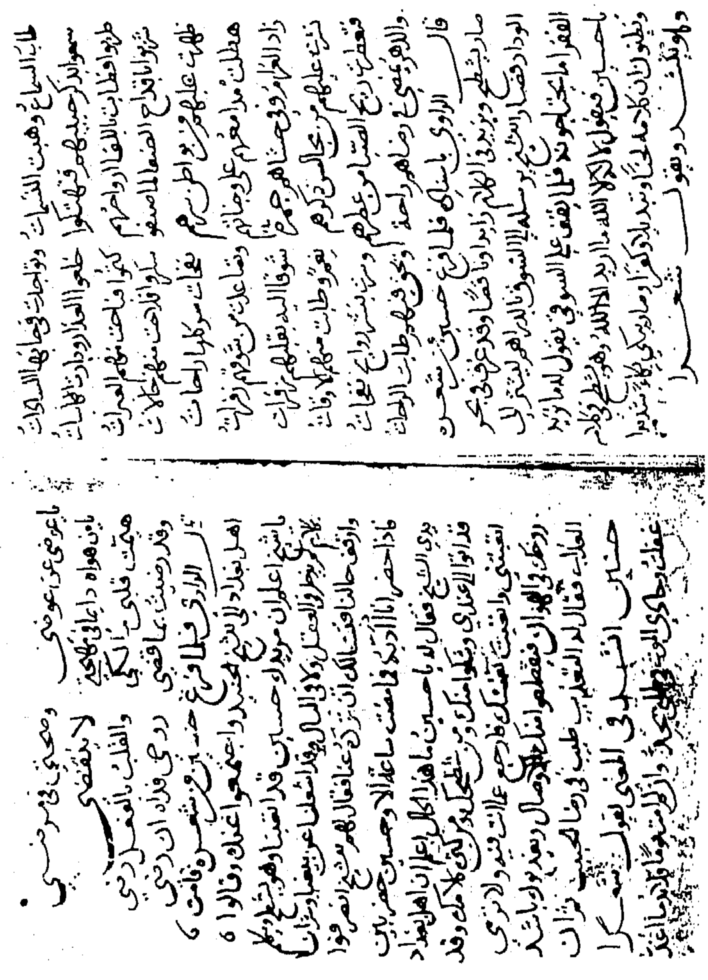
مخطوطة المكتبة المولوية بحلب



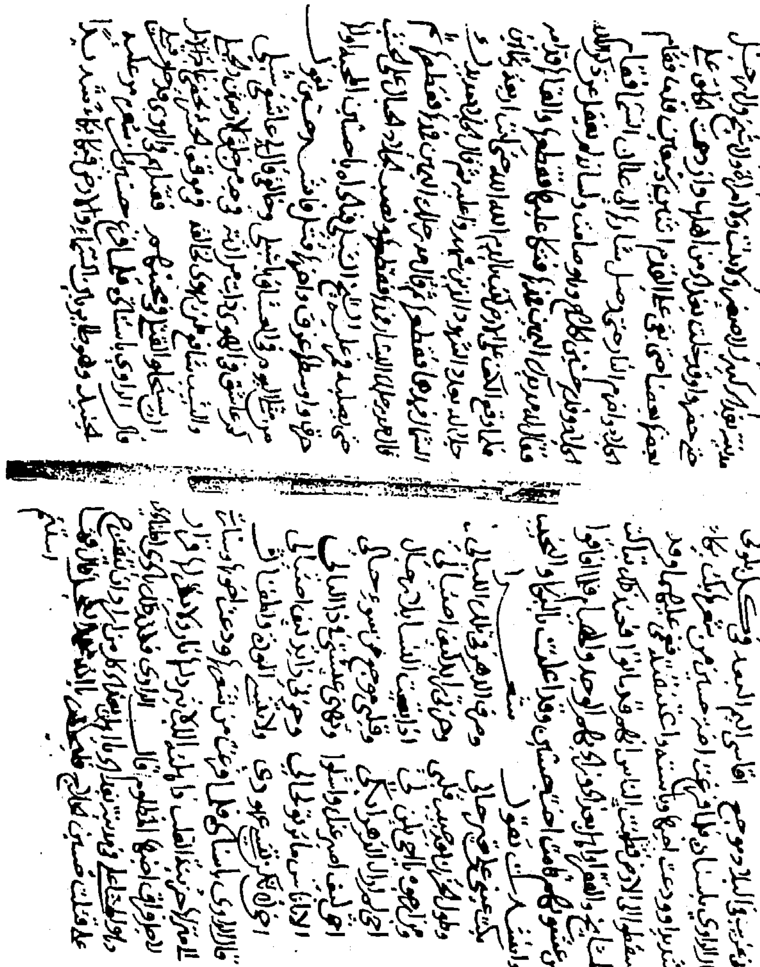
مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق



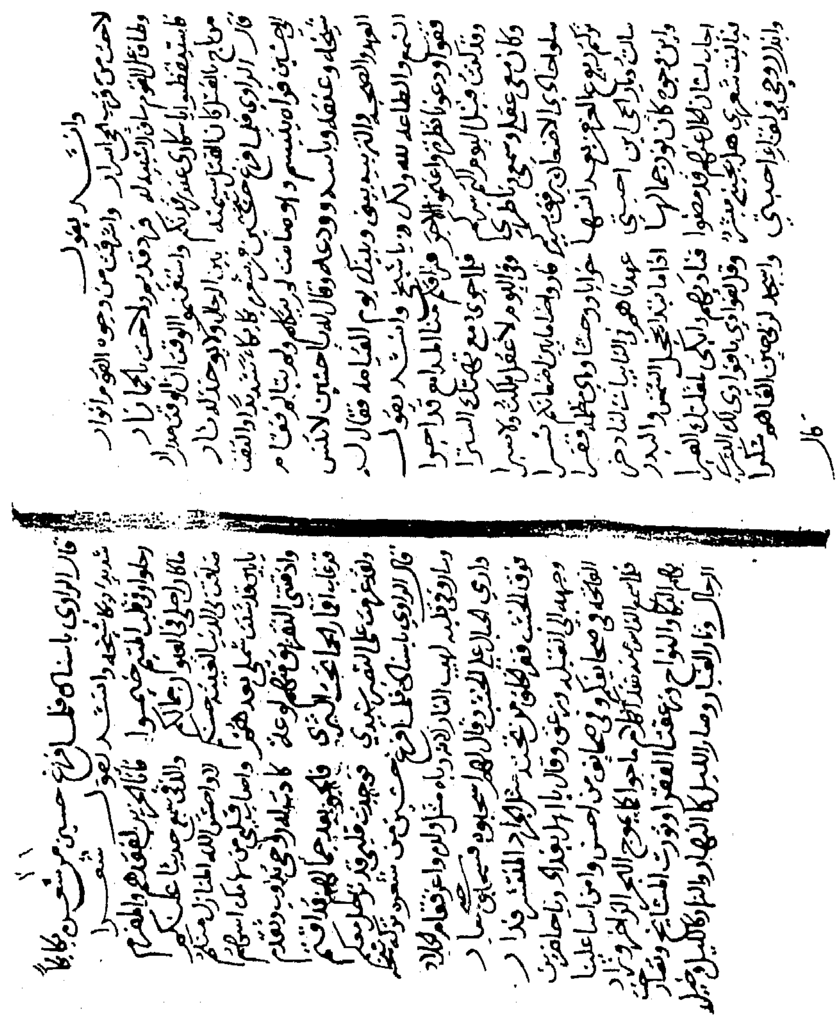
مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق



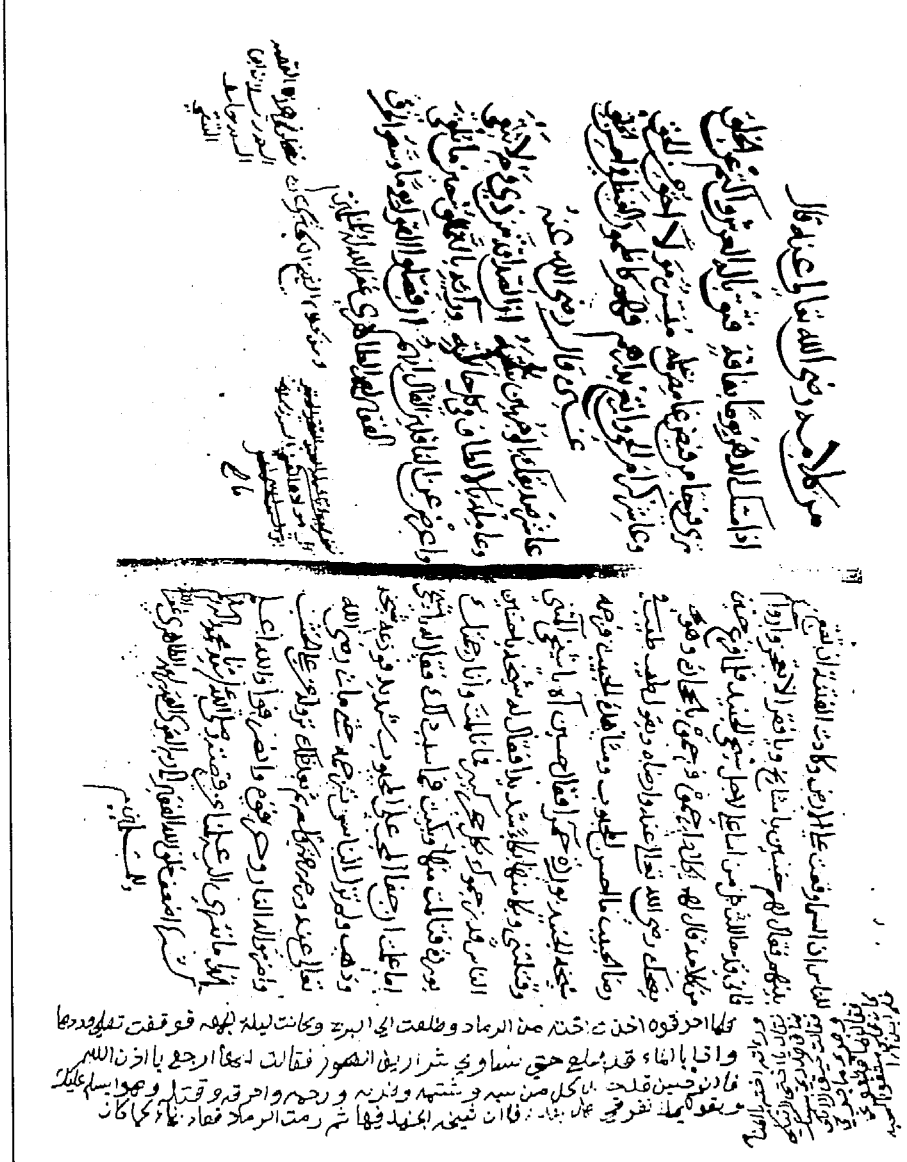
مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق



مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق



مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق



مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق

رحمه الله تعالى آمين

نقلت عن نسخة خطية قديمة

الطبعة الاولى بنفقة المكتبة الوطنية

لصاحبها محمد حكمة [illegible]

شام : سوق المسكية

١٣٥٧ هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٩ م

مطبوعة مطبعة الترقي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

حكي والله أعلم انه كان في زمن الجنيد امرأة صالحة ومن حبها وشوقها لله تعالى نذرت إن جاءها ولد ذكر يكون خادماً للفقراء وكانت حاملة فرزقها الله ولداً ذكراً فسمته حسيناً وربته إلى أن بلغ من العمر ثماني سنين فأرادت أن تعلمه صنعة من صنائع الدنيا ونسيت ما نذرت فطافت به أصحاب الصنائع وكل ما وضعته عند أحد لا يتعلم شيئاً وكان يفسد أكثر ما يصلح ويطردونه .

فدارت به على معلمين كثيرين فكانوا يكرهون تعليمه .

ذي بعض الأيام أرادت أن تعلمه صنعة فقال يا أماه أنا ما خلقت لها اذكري ما نذرت وأنا حمل في بطنك فلما سمعت من ولدها هذا قبلته بين عينيه وقامت وأمسكته بيده الى أن أقبلت على الجنيد رضي الله تعالى عنه فقال لها ما حاجتك قالت له هذا ولدي وأخبرته بالقصة وأنها نذرت أن يكون خادماً للفقراء فأخذه الشيخ منها وانصرفت فقال له الشيخ يا ولدي أخدم الفقراء في الزاوية لعلك تنال الخير فقال السمع والطاعة يا سيدي فصار حسين يخدم الزاوية والفقراء ويكنس

الزاوية والحيطان وفي كل يوم ينفض سجادة الشيخ ويكنس تحتها فمكث عند الشيخ على هذا الحال مدة من الزمان وكان الشيخ يعلمه العلم والفقه والأدب حتى صار له قدر وشأن ورتبة عند علماء زمانه رضي الله عنه ، فلم يزل على هذه الحالة حتى أراد الله له بالسعادة فبينما الجنيد في بعض الأيام خطر بباله أن يشرب اسم الله الأعظم فكتبه بمسك وزعفران ووضعه تحت السجادة حتى يشربه على الريق على طهارة فدخل حسين على عادته وكنس الزاوية ونفض السجادة فوقعت منها الورقة فأخذها وبلعها حسين على بركة الله يتبرك بها ولم يعلم ما فيها فدخل الجنيد فلم يجد الورقة فقال يا فقراء من أخذ ورقة كانت هنا فلم يرد عليه أحد جواباً فكرر الجواب مرة بعد مرة فلم يرد عليه جواب فقال لهم على حسب التخويف من لم يردها قطعت يديه ورجليه وصلب وحرق وذري رماده في الهواء كل هذا وحسين واقف يبكي وقد التهب قلبه بنور الحق جل وعلا ونفذت دعوة الشيخ في حسين فلما رأى الشيخ أحوال حسين قد تغيرت وصار يخلط ويشطح بالكلام زائد وناقص فأنكر شيخه وقال له يا حسين مالك وما أصابك فقال له يا سيدي نسمة من جنابه أرقتني ببابه وبشرتني بوصال وطاب لي ما سمعته في الدعاء ثم انه يبكي وجعل يقول :

طاب السماع وهبت النسمات ... وتواجدت في حانها السادات

مطبوعة مطبعة الترقي

عملنا في الكتاب

اعتمدنا النسخة (ظ) كنسخة أساسية، واستعنّا بالنسختين الأخريين على قراءة ما أشكل، وأخذنا من (م) ومن (ت) أيضاً ألفاظاً وعبارات في بعض المواقع رأيناها أنسب في إظهار القصد، أو تكملة له، وأشرنا إلى ذلك في الهامش.

وبهدف المحافظة على روح النص التي مازجت بين الفصحى والعامية تركنا الألفاظ العامية بين قوسين (   )، واستثنينا الغامض المشكل، وأشرنا إليه في الهامش، ولكثرة الأخطاء الإملائية من مثل رسم التاء مبسوطة ومربوطة، والألف ممدودة ومقصورة، وزيادة الحروف في بعض المواقع مثل زيادة الألف في (فأاخذها) أو في (لا أبي القاسم)، أهملنا ذكرها.

وهمزنا ما يحتاج إلى همز إلا ما كان بغرض التليين فتركناه لإظهار الروح العامية، واستثنينا من ذلك ما يؤدي إلى لبس وغموض من مثل (جا) بمعنى (جاء)، وما رأينا ضرورة إضافته أضفناه بعد أن وضعناه بين [   ]، وما رأيناه زائداً وضعناه بين <   >، وما رأيناه غامضاً أشرنا له هكذا (. . .؟)، وقسمنا النص إلى فصول، وجعلنا لها عناوين من وضعنا، وأغنينا الهامش بأمثلة من كتابَي «أخبار الحلاج» و «الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً» لما يوجد من تقارب في

الموضوع. ولم نشر إلى ما جاء في الدراسة، ولهذا كان لا بد من الاطلاع عليها بعد قراءة النص، ولم نضعها قبله لأن معرفة النص ضرورية للدخول إلى الدراسة.

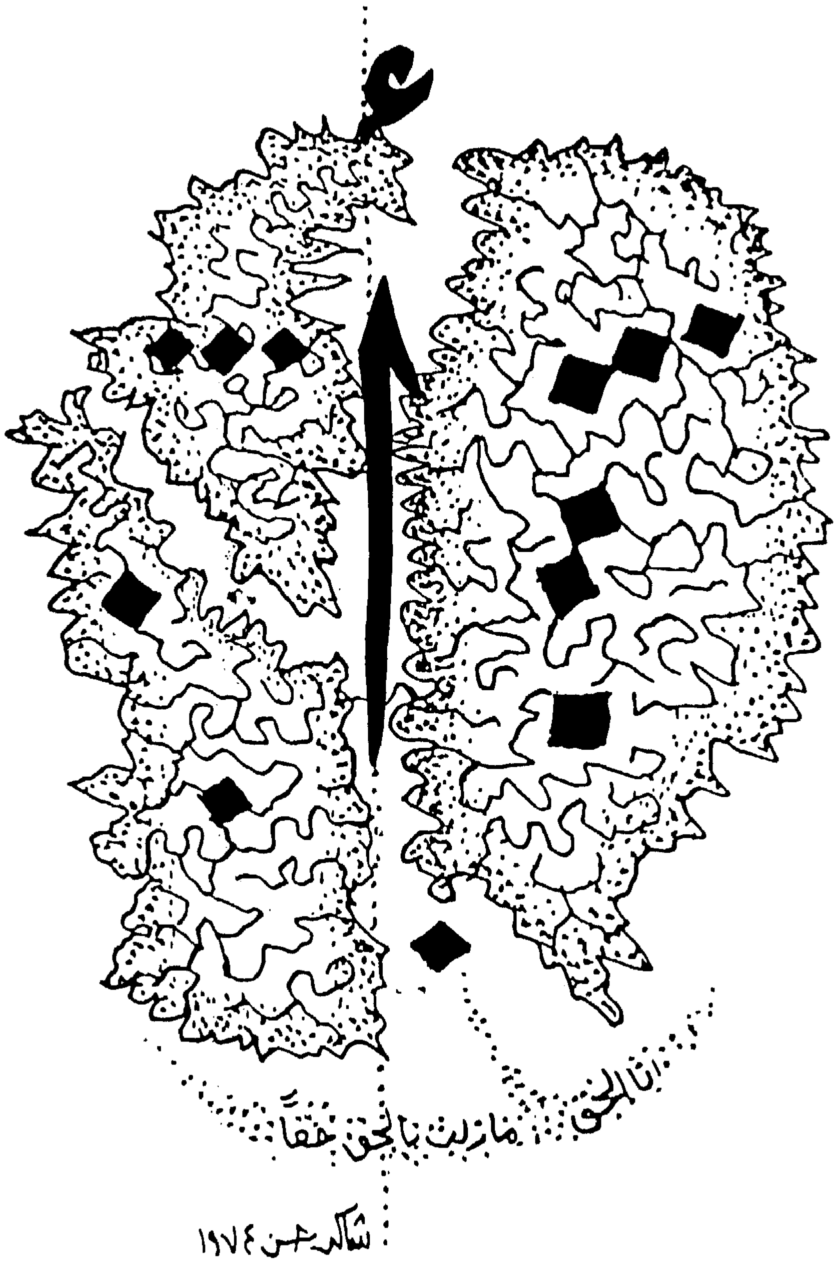
وأضأنا ما يتعلق بالنسخ الثلاث بأرقام متسلسلة، وغير ذلك أضأناه بـ (*)، وعند اجتماعهما اكتفينا بالأرقام المتسلسلة.

شكر

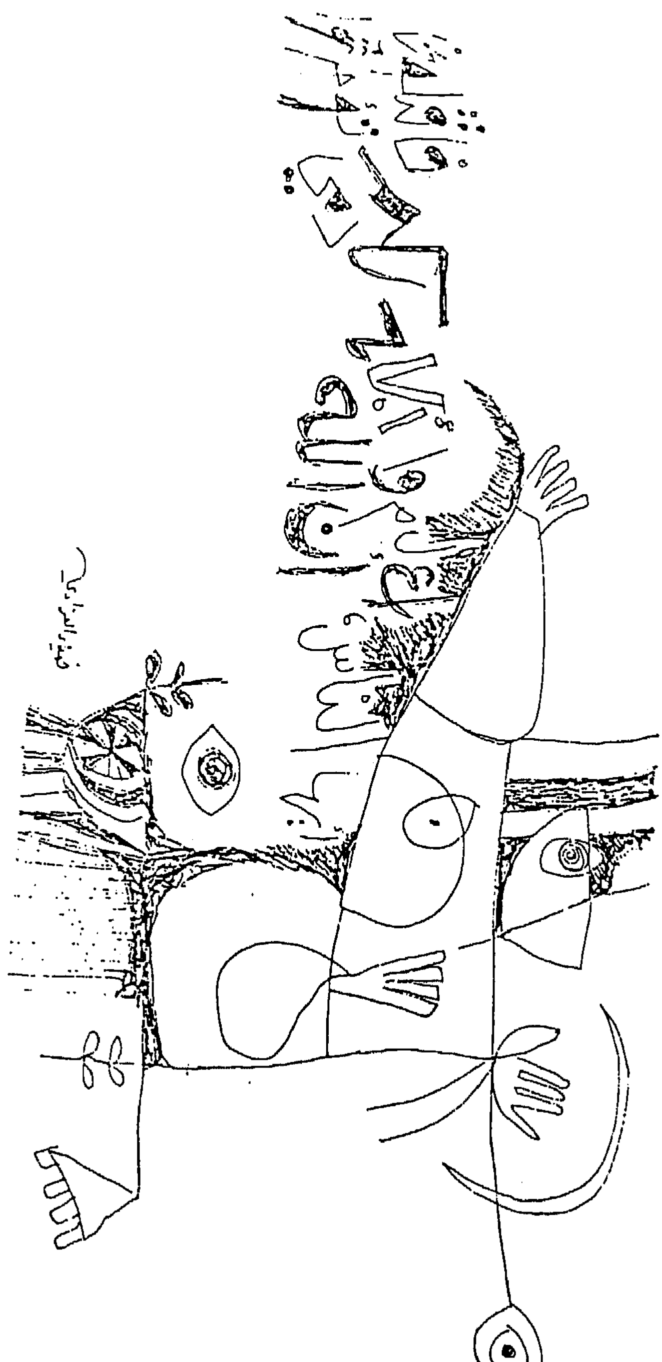
يسرني أن أقدم شكري للأستاذ محمود فاخوري مدرس اللغة العربيّة وآدابها في كلية الآداب بجامعة حلب، لتفضّله بالنظر في الأبيات الواردة في النص ونسبتها للحلاج، وأشكر صديقي الشاعر محمد عارف قسوم الذي لم يوفّر جهداً في تأمين المصادر الأساسية للعمل.

السيرة الشعبية للحلاج

(قصة حسين الحلاج)



اسم الله الأعظم



شطح الحلاج

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة
حسين الحلاج

رحمه الله

قيل إنّ (والدة حسين الحلاج[١]) لما حملت به، نذرته خادماً للفقراء، وتُسلمه لأبي القاسم شيخ الطايفتين الجنيد رضي الله عنه يعلمه القرآن، فلما وضعته وكبر لم يَهُنْ عليها فراقه، فَأَشغلته في صنايع أهل الدنيا، فلم يتعلم منها (شيء). فقال لها ذات يوم: يا أماه.. (أنتي نذرتيني) خادماً للفقرا، فأوهبيني للشيخ (أبو) القاسم الجنيد وأوفي بنذرك، فأخذته، ومضت به إلى الجنيد، فعلمه كتاب الله، وعلمه العلم الشريف، وكان يخدم الزاوية، ويتحوج إلى الفقراء ويدخل الخلوة، ويكنسها، وينفض الكتب من الغبار، ويبسط السجادة لشيخه، ويملأ الأباريق.

فدخل ذات يوم الخلوة ليكنسها، وإذا بورقة قد سقطت من السجادة فيها اسم الله الأعظم، فأخذها وأكلها ليتبرك بها، وكانت مرسوم الولاية للشيخ، فطلبها، فلم يجدها، فشق ذلك عليه، فأراد أن يخوف الفقرا حتى يردوها عليه، فقال: من وجد لي ورقة ولم يردها قطعت يمينه. فلم يتكلم أحد.

فقال: من سمعني أطلبها، ولم يردّها قطعت شماله. فلم يردّ أحد.

فقال: من سمعني أطلبها ولم يردها قطعت (رجليه)، وصلب، ورجم، وأحرق، وذرّي بالهوا.

---

(١) من (م). وفي (ظ): حسين الحلاج والدته.

فنفذت الدعوات كلها في حسين الحلاج، وهو قائم متحيّر، وقد التهب فؤاده من محبة الحق، فقال له الشيخ: يا حسين. . ! ما افتكارك؟

قال: نسمة من جنابه، أوقفتني ببابه، وبشرتني في الدجى بوصله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لي ما سمعته في الدجى من خطابه، وعلى كل حال سكرتي من شرابه(*).

قال(*)(*): ثم قوي به الوجد، فكان الشيخ يعطيه الفضة ليشتري عشاء للفقراء، فيمضي إلى السوق، فيقف على البياع، فيقول له: ما تريد؟.

فيقول: الله. . !. . . الله!.

ثم يأتي اللبان كذلك، والبقال كذلك، والخباز كذلك.

قال: فأتى أهل السوق إلى الشيخ، وقالوا له: يا سيدي لا ترسل إلينا هذا المولّه، فإنا ما نعرف ما يقول.

وزاد الوجد بحسين الحلاج، فساح في الجبال ستة أشهر، ثم رجع في ميعاد الشيخ، فوجد المجلس مزدحماً بالخلايق، فوقف في الدهليز. وكان الشيخ فصيح اللسان إذا تكلم يفهم كلامه الذكي والبليد، وكان الناس يرغبون في مجلسه لفصاحته. فدق الكلام في ذلك اليوم حتى لم يفهم منه كلمة واحدة.

فقال الناس: ما هكذا عادتك للفقرا، ما نَفهم[1] من كلامك (شيء).

(*) وردت هذه العبارات المسجوعة في كتاب «الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً» للدكتور كامل مصطفى الشيبي ص ١٨٦، تحت عنوان «أشعار قديمة لا يعرف قائلها» وجاءت على هذا الشكل:

نسمة من جنابه	أوقفتني ببابه
جذبتني لوصله	أبداً واقترابه
واستراح الفؤاد من	هجره واحتجابه
طاب لي ما سمعته	في الدجى من عتابه
وعلى كل حالة	سكرتي من شرابه

(* *) تعود للراوي وإن لم يذكر، وهذا الأسلوب يستخدم كثيراً في العامية.

(١) وردت: «تفهم». ونرجح ما ذكرنا لأن الأدب يقتضي عدم نسبة التقصير للشيخ، =

فقال الشيخ: وأنا أيضاً ما أفهم ما أقول، ولا بد لهذا من نبأ، وممن يفهمه.. فتشوا الدهليز، وانظروا من يبكي لهذا الكلام فلما فتشوا، وجدوا (حسين) الحلاج (واقف) يبكي. فقالوا: تفهم ما يقول الشيخ؟.

قال: نعم.

قالوا: تقدم، فإن الشيخ يريدك.

ففسحوا له حتى طلع المنبر. فقال له الشيخ: يا حسين.. أنت وصلت إلى هذه المنزلة تسمع الخطاب في الأسرار..؟ اكتم السر..!.

قال: ما أقوى على الكتمان.

وقيل إنه سأله: ما المحبة؟.

قال: حبه نزل بقلبي فلم أرَ إلا ربي، فأخذ لبّي[1] مني، وسلبني عني، ثم نظرت منه إليه، فلم أنظر إلا هو، فعلمت أنه الحق. وقال لي: يا حلاج، ما أسرع ما كانت المحبة، رضعت من ثدي محبتنا رضعة، وشربت من كأس محبتنا جرعة، فما ثبت إلا لحظة، وما كتمت إلا غمضة.

ثم بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه، ثم أنشد:

أَلا يـا لَـيْـلُ زادَ بـيَ الـهُـيـامُ   شَطَحْتُ بِسكرَتي بَرّاً وسهلا[2]
ألا يـا لَـيْـلُ لِـلـمَـولـى رِجـالٌ   ألا يـا لَـيْـلُ قُـرْبَ الـحـقِّ نـالُـوا
ألا يا لَـيْـلُ قَـدْ كـسـبُـوا (جَـمـال)   ألا يـا لَـيْـلُ قَـدْ صَـدقُـوا الـمَـقـال
تَـراهُـم رُكَّـعـاً يَـبْـغُـون فَـضْـلا
ألا يـا لَـيْـلُ أَقْـوامٌ كـرامُ   ألا يـا لَـيْـلُ قَـدْ شـربُـوا فـهـامُـوا
ألا يا لَـيْـلُ جـنـحَ الـلـيـلِ قـامُـوا   ألا يـا لَـيْـلُ قَـدْ صـلُّـوا وصـامُـوا
تَـراهُـم سـجَّـداً يـبـغُـون وصْـلا

= ويؤكد ذلك ما جاء في (م) حيث وردت الجملة عامية على هذا الشكل: «ما عمال نفهم من كلامك شيء»، ولم ترد حادثة الدهليز في (ت).

(١) ت: «عقلي».

(٢) في الشطر الأول: «زاد بالهيام». وفي بداية الثاني: «ألا يا ليل» ولكنها مشطوبة.

أَلا يـا لَـيْـلُ قَـدْ كـثـرَتْ ذنُـوبِـي | أَلا يـا لَـيْـلُ قَـدْ ظـهـرَتْ عـيـوبِـي
أَلا يـا لَـيْـلُ زادَ بـيَ الـتَّـحـيـبُ[١] | أَلا يـا لَـيْـلُ نـادمـنِـي حـبـيـبِـي[٢]
وَلا طَـفَـنـي، ولا عَـنِّ تَـوَلَّـى
أَلا يـا لَـيْـلُ لـي قـلـبٌ أسـيـرٌ | أَلا يـا لَـيْـلُ بِـي وجـدٌ كـثـيـرُ
أَلا يـا لَـيْـلُ لِـي دَمـعٌ غـزيـرٌ | أَلا يـا لَـيْـلُ إنِّـي مُـسـتـجِـيـرُ
بِجاهِ المُصْطَفَى مَنْ نَالَ فَضْلا[٣]

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره. قال شيخه: يا حسين.. أنت وصلت إلى هذه المنزلة؟.

إن كنت وصلت إليها، فعليك بكتمان السر.

فقال له: يا شيخي.. ما لي قوة على كتمان السر فقال له: كيف ترى نور المحبوب في قلبك؟.

فقال له: أرى نوراً هام (بي) قلبي، فلم أرَ إلا ربي. فأخذ عقلي مني، وقد سلبني عني، ثم نظرت منه إليه، فلم أر الكون إلا هو.

ثم إن (حسين) أنشد يقول:

طـابَ الـسَّـمـاعُ وَهَـبَّـتِ الـنَّـسَـمـاتُ | وتـواجَـدَتْ فـي حـانِـهـا الـسَّـاداتُ
سـمـعُـوا بذكـرِ حبيبهِـمْ فتهتَّكُوا | خـلـعُـوا الـعِـذارَ ودارَتِ الـكـاسـاتُ
طـربُـوا فـطـابَـتْ بـالـلُّـقـا أرواحُـهُـم | كـتـمُـوا فـبـاحَـتْ مـنـهُـمُ الـعَـبَـراتُ
شـربُـوا بـأقداحِ الـصَّـفـا لـمّـا صـفَـوْا | سـكـرُوا فـلاحَـتْ مـنـهُـمُ حـالاتُ
ظهرَتْ عليهِمْ من بواطنِ سرِّهمْ | نـفـحـاتُ سـرٍّ كـلُّـهـا راحـاتُ
هَطلتْ مدامعُهُمْ على وجناتِهِمْ | وتـصـاعـدَتْ مـن شـوقِـهِـمْ زَفـراتُ

(١) الباء محركة بالكسر.
(٢) إلى جانب البيت في الهامش: ولاطفني، ولا عني تولا.
(٣) لم ترد هذه (القصيدة) في (م) و(ت)، وجاء بدلاً عنها:

يـا عـوضـي عـن عـوضـي | وصـحـتـي مـن مـرضـي
يـا مـن هـواه دايـمـاً | فـي مـهـجـتـي لا يـنـقـضـي
هـيـمـت قـلـبـي مـالـكـي | والـقـلـب بـالـفـعـل رضـي

زادَ الـغـرامُ وفـي حـشـاهُـمْ جـمـرةٌ شـوقـاً إلـيـهِ بـقـلـبِـهِـمْ زفـراتُ
نُشرتْ عليهِمْ من مجالسِ ذكرِهِمْ نِـعَـمٌ، وطـابَـتْ مـنـهُـمُ الأوقـاتُ
فتعطَّرَتْ ريحُ الصَّبا من عطرِهِمْ وسـرَتْ بـنَـشْـرِ روايـح نـفـحـاتُ
والدَّهْرُ يُمْضِي في رضاهُمْ راحةً ويـحـقُّ فـيـهِـمْ طـابَـتِ الرَّاحـاتُ(*)

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره صار يشطح، ويزيد في الكلام زايداً وناقصاً، وقد غرق في بحر الوداد، فصار الشيخ يرسله إلى السوق بالدراهم ليشتري إلى الفقرا ما يحتاجونه (فلمّا يقف) على السوقي يقول له: ما تريد يا حسين؟.

فيقول: لا إله إلا الله، ما أريد إلا الله. وهو يشطح في كلامه، ويظنون أن كلامه (لحناً وتبديلاً وكفراً)(**). وصار يبكي بكاء شديداً، وهو ينشد ويقول شعراً:

(*) وردت هذه القصيدة ضمن الشعر المنسوب للحلاج في «ديوان الحلاج» للدكتور كامل مصطفى الشيبي ص ١٠٤، مع هذه الفروق:

البيت الثالث: . . . . .

كـتـمـوا فـبـانـت مـنـهـم حـالات

البيت الرابع: . . . . .

سـكـروا فـلاحـت مـنـهـم رقـصـات

البيت الخامس:

ظهرت عليهم من بواطن سره كـاسـات بـشْـرٍ كـلـهـا راحـات

البيت السابع:

زاد الغرام بهم، وفي أحشائهم نـار، وفـي أكـبـادهـم جـمـرات

والبيت الأخير غير موجود عند الشيبي في الديوان.

وفي كتابه «الحلاج موضوعاً للآداب. . .» ينسب الشيبي هذه القصيدة إلى الجعبري إبراهيم ابن أبي بكر ـ ت ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧ م.

انظر «الحلاج موضوعاً للآداب. . .» ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

(**) يمكن تتبع نماذج من إغرابه في الكلام في أسواق بغداد في كتاب «أخبار الحلاج» ص ٢٥ ـ ٢٦ ص ٥٤ ـ ٥٥ ص ٥٧ ـ ٥٨ ص ٨١ ـ ٨٢ ونورد على سبيل المثال:

«وقال أحمد بن فارس: رأيت الحلاج في سوق القطيعة قائماً على باب مسجد، وهو يقول: أيها الناس، إذا استولى الحق على قلب أخلاه عن غيره، وإذا لازم أحداً أفناه=

يـا عِـوضِـي عَـنْ عِـوضِـي وصِـحَّـتِـي فـي مـرضِـي (*)
يـا مَـنْ هَـواه دايـمـاً فـي مُـهْـجَـتِـي لا يـنـقـضِـي
هـيَّـمْـتَ قـلْـبِـي مـالِـكِـي والـقَـلْـبُ بـالـقِـفْـل رَضِـي
وقـد رَضَـيـتُ بِـمـا قُـضِـي روحِـي فِـداهُ إنْ رَضِـي

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره قامت أهل بغداد إلى الشيخ الجنيد، واجتمعوا عنده، وقالوا: يا شيخ. . اِعلم أن مريدك (حسين) قد أتعبنا، وهو يشطح، ويتكلم بكلام لم يدخل في العقل، ولا في البال، وقد أشغلنا عن بيعنا وشرانا، وأوقف حالنا، فنسألك أن تردّه عنا.

فقال لهم الشيخ: انصرفوا، فإذا حضر نؤدّبه. فما مضت ساعة إلا وحسين حضر بين يدي الشيخ. فقال له: يا حسين ما هذا الحال! اِعلم أن أهل بغداد قد أتوا إلى عندي، وشكوا منك، ومن شطحك، ومن (كترة) كلامك، وقد أتعبتني وأتعبت نفسك، فارجع عما أنت فيه، ولا (ترمي) روحك في الهوان (فيقطعوا) منك الأوصال، و (يعذبوك)

= عمّن سواه، وإذا أحب عبداً حثَّ عباده بالعداوة عليه، حتى يتقرب العبد مقبلاً عليه، فكيف لي، ولم أجد من الله شمة، ولا قرباً منه لمحة، وقد ظل الناس يعادونني. ثم بكى حتى أخذ أهل السوق في البكاء فلما بكوا عاد ضاحكاً وكاد يقهقه. . .» أخبار الحلاج ص ٥٤.

«وقال أحمد بن القاسم الزاهد: سمعت الحلاج في سوق بغداد يصيح: يا أهل الإسلام أغيثوني، فليس يتركني ونفسي فآنس بها وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيقه. . .» أخبار الحلاج ص ٥٧.

(*) يورد الشيبي في «ديوان الحلاج» هذه الأبيات ضمن الشعر المنسوب للحلاج، ويأتي البيت الثالث:

هـيـمـت قـلـبـي سـيـدي والـقـلـب بـالـقـفـل رضـي

والرابع:

أفـنـيـتـنـي أضـنـيـتـنـي قـلـبـي بـذكـراك رضـي

ويعلق الشيبي في الهامش: «شعر عامي على لسان الحال، ونلاحظ القافية المكررة، ولعل (رضي) الأخيرة (يضي) أو (حظي)» ص ١١٤..

بأشد العذاب. فقال له: التعذيب يطيب[1] في رضا الحبيب، ثم إن (حسين) أنشد في المعنى يقول شعراً:

غَفِلْتُ وحادِي الموتِ في طلبِي يَجِدُّ ... وإن لم أمُتْ يوماً فلا بدَّ ما أغدُو[2]

أرى[3] العمرَ قَدْ ولّى ولم أبلغِ المُنى ... وليسَ معي زادٌ، وفي سَفرِي بُعدُ

فوا أسفِي لَوْ كانَ يُغنِي تأسّفِي ... وواهٍ، ووا وَجداهُ لَوْ ينفعُ الوجدُ

على موتِ مثلِي وهو خالٍ من التُّقى ... وليسَ معي تَقْوى وليسَ معي زُهْدُ

أنعِّم جسمِي بالثّيابِ ولِينِها ... وليسَ لجسمِي من ثيابِ البِلى بُدُّ

كأنّيَ قَدْ مُدِّدْتُ في برزخِ البِلى ... ومن فوقِيَ ردْمٌ، ومن تحتِي اللّحْدُ

وقد بَليتْ تلكَ المَحاسِنُ كلُّها ... ولم يَبقَ فوقَ العَظْمِ لَحْمٌ ولا جلدُ

واللّهِ لم (أخشىٰ) بَشِيءٍ سوى البِلى ... وقَدْ جاءَ من ربِّي وعيدٌ و(جا) وعدُ

لَقَدْ كانَ لي بالمَوْتِ وعظٌ من البِلى ... وقَدْ غابَ عنِّي الأهلُ وانقلبَ الرُّشدُ

وقد كنتُ للّهِ المهيمنِ عاصِياً ... وأُحْدِثُ أحداثاً وليسَ لها ردُّ

وأرخيتُ وقتَ الليلِ ستراً من الجَفا ... ولم أخشَ من سرٍّ عندَه يبدوُ

عسىٰ غافرُ الزّلاتِ يغفرُ زلّتِي ... وقَدْ يغفرُ المولى إذا أذنبَ العبدُ

إلٰهِي ترى نفسِي وقلّةَ صبرِها ... إذا لاحَ ضوءُ البرقِ أو قهقةَ الرعدُ

وكيفَ إذا في النّار تحرقُ مهجتي ... ونارُك لا يقوى لها الحَجَرُ الجَلْدُ

أنا الفردُ عندَ الموتِ في القبرِ والبِلى[4] ... وأبعثُ فَرْداً فارحمْ الفردَ يا فردُ

سألتُ إلٰهَ العرشِ يغفرَ زلّتي ... فقد يغفرُ المولى إذا أذنبَ العبدُ

ومالي شفيعٌ غيرَ جاهِ محمّدٍ ... ومن جاهُهُ في الحَشْرِ ليسَ له ردُّ

عليهِ صلاةُ اللّهِ ما لاحَ بارقٌ ... وما هطلتْ سحبٌ وما قهقةَ الرّعدُ[5]

---

(١) من (ت)، وفي (ظ) (طيب) أو (طبيب).

(٢) وردت: «أغدُّ»، وفي (ت): «أن أغدو»، والقصيدة غير موجودة في (م).

(٣) وردت: (أرّ).

(٤) وردت هذه الكلمة في جميع مواقعها من القصيدة بالألف الممدودة.

(٥) (ت): «وما لمع البرق» ـ تتغير القافية.

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره، تركه شيخه وصار يشطح، ويزيد في كلامه، وقد غرق في بحر الوداد، (فالتمّت) أهل بغداد، وجاؤوا[١] إلى الشيخ الجنيد، وقالوا له: يا سيدي[٢] الشيخ، لقد زاد مريدك حسين في كلامه و (لا بقا لنا) عليه اصطبار.

فقال لهم الشيخ: أمسكوه (حتى إني) أحبسه في مخزن القطن إلى غدٍ (حتى اني) أدبّر فيه حيلة، إما يرجع عما هو فيه، وعن مقاله، وإما نشغله بقطع أوصاله.

فجاؤوا[٣] إليه. واجتمعوا عليه، وأدخلوه إلى مخزن القطن، وقفلوا عليه الأبواب، فلما رأى روحه محبوساً بكى بكاء شديداً، وأنشد:

يظنّون أنَّ الحبَّ (هزلاً) بلا جدٍّ ... وما ذاك إلا وصفٌ زايدُ الحدِّ
وما علقتْ نارُ الهوى بِمُتَيَّمٍ ... لذي[٤] الحبِّ إلا لا يعيدُ ولا يبدِي
أقلُّ الهوى ما يُنْسِيَ الصَّبَّ إسمَهُ ... وأيسرُهُ نارٌ تُضرَّمُ بالوقدِ
وأوسَطُهُ نارُ الغَرامِ تسعُّراً ... إذا ما مضى جِلدٌ تبدّلَ بالجِلدِ[٥]
وكلُّ وِدادٍ لا يكونُ مُسَرْمَداً ... إلى ميعادِ يومِ الورى ليسَ بالودِّ
فكمْ ليلةٍ قد نلتُها في اصطِلامِها ... أنادِمُ أنفاساً ألذُّ مِنَ الشَّهْدِ
وكم ليلةٍ في الحبِّ سكرانُ هايمٌ ... بحبِّي وقَلْبِي هُوْ مقيمٌ على العَهْدِ
تطوفُ علينا خمرةٌ معنويّةٌ ... مؤيّدةٌ جلّتْ عن الكيفِ والحدِّ
وما ذاكَ إلاّ أنّها بعنايةٍ ... (معظَّمةٍ؟) بالعزِّ سابقةِ السّعدِ

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره بكى بكاء شديداً، وبات في مخزن القُطن، وهو واقف على أقدامه إلى الصباح، ساعة

---

(١) وردت: «وجوا».
(٢) وردت: «يا سيد».
(٣) وردت: «فجوا».
(٤) وردت: «(لدي؟)» وفي (ت): «لذا». والقصيدة غير موجودة في (م).
(٥) من (ت)، وفي (ظ): «تبدله جلد».

يقرا، وساعة يذكر الله تعالى وينشد الأشعار، ويبكي بدموع غزار. وأنشد يقول شعراً:

يـا كـرامـاً بـوصْـلِـهِـم جَـبَـرُونِـي وبِـألْـطـافِ جـودِهِـمْ جَـذَبُـونِـي [١]
مَـنَـعُـونـي الـرُّقـادَ فـي الـلَّـيـل لـمَّـا عـلـقُـوا حـبَّـهـم بـقـلـبـي سَـبُـونـي
أنـا عـبـدٌ لَـهُـمْ عـلـى كـلِّ حـالـةٍ خـاضِـعـاً خـاشـعـاً لـهُـمْ خـلـقُـونِـي
فـارِغُ الـقـلـبِ مـن سـواهُـمْ عـسـاهُـمْ عـبـدَ رقٍّ بِـبـابِـهِـمْ قـيّـدونـي
هُـمْ دعـونِـي إلـيـهِـمُ بِـرضـاهُـمْ وحَـمُـونـي عـن غـيـرِهِـمْ وهَـدُونـي
أوْجَـدُوا بِـي عَـبْـد رقٍّ فـمـالِـي غـيـر حـبِّـي لَـهُـمْ بِـهِ خَـضَـعُـونِـي
أَوْقَـفُـونـي بِـبـابِـهِـمْ عـن سِـواهُـمْ خـادمـاً دايـمـاً بِـهـم جَـبَـرُونِـي
فـتـحـوا لـي أَبْـوابَـهَـم بـهـداهُـم وأَدْخَـلُـونـي عـلـيْـهِـم وأَوْقـفُـونِـي
عـبـد رقٍّ بِـحُـسْـنِـهِـمْ أَتَـمـلّـى وبِـأَلْـطـافِ فَـضْـلِـهِـم رَحَـمُـونـي
أَطْـلَـقُـونـي مـن قـيـدِ أَسْـرِ سِـواهُـم وبِـأَفْـضَـالِ جُـودِهِـم قـيَّـدونِـي
روّقـوا لـي الـمـدام فـي الـحـانِ لـمّـا أخـذونـي مـنّـي وصـرْفـاً سـقـونـي
خـمـرةَ الـمُـصـطَـفـى شَـرِبْـتُ حَـقـيـقـاً بِـالـوفـا والـرِّضـا بِـهـا عـرفُـونـي
يـا خَـلـيـلِـي وصـاحِـبِـي وصـديـقِـي قُـمْ إلـى حـانِـهـا بِـهـا تَـجِـدُونِـي
قُـمْ عـلـيَّ بـآيـةِ سِـحْـرٍ و (نـادِي) يـا كِـرامـاً بِـفـضـلِـهِـم غَـمَـرونـي
أَوْقَـفُـونـي إلـى الـرِّضـا بِـهـداهُـم وإلـيـهِـم بِـهِـمُ وهُـم أَرْشَـدونِـي
لَـهُـمُ الـفَـضْـلُ كـامـلاً يـا خَـلـيـلِـي هُـم كِـرامٌ بِـفَـضْـلِـهِـمْ عَـوَّدُونـي
سَـلَـبـونـي عـن غَـيْـرِهِـم ورَضَـوْا بِـي خـادِمـاً عـابِـداً لـهُـم ورَعُـونِـي
إنَّـنِـي قَـدْ رَضِـيـتُ بـالـحـبِّ فـيـهـم عـبـدَ رقٍّ نـشـوانَ مـمّـا سَـقـونِـي
كُـلُّ عـبـدٍ غَـدا لـهُـمْ ومـريـدٌ فـي هـواهُـمْ بِـجـودِهِـم تَـبِـعُـونـي
مَـنْ أَرادَ (الإلـهَ؟) يَـتْـبَـعُ حُـبِّـي فـي طـريـقِ الـهُـدى لَـهُـمْ رَسَـمُـونِـي
جـذبـونِـي مـنّـي لَـهُـمْ وإلـيْـهِـم قَـرّبـونـي، وبـالـصَّـفـا جـلـبـونِـي

(١) ت: «... فضلهم رجموني» والقصيدة غير موجودة في (م).

أَوْجـدونِـي بِـهِـم لَـهُـم عـبدَ رقٍّ	وعـلـى حـبِّـهِـم لَـهُـم نَـظـرونِـي
مَقصدِي هُمْ والقَصْدُ مِنهُم رضاهُم	ورِضـاي وصـالُـهُـم يَـزعُـونِـي (١)
عـبدُ رقٍّ لا أنـثـنِـي عـنْ هـواهُـم	وهـواهُـم فـي مـهـجـتِـي يـعـطـونِـي

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره، صبروا عليه حتى أصبح الصباح[و] دخلوا عليه، فوجدوا كل القطن الذي كان في المخزن محلوجاً مندوفاً، القطن في ناحية، (البزر) في ناحية أخرى(*)، فتعجب الناس من ذلك، وقالوا يا حسين أنت صنعتك حلاج حتى حلجت هذا القطن كله في ساعة؟! فلما سمع منهم هذا الكلام أنشد يقول شعراً:

أنا حسينُ الحلاجُ (ليش)(٢) تنكِرُون حالِي
أنا حلجْتُ قطنِي بالذِّكرِ والقرآنِ(**)

---

(١) (ت): «ورضاهم عني به يعطلوني».

(*) لا يستبعد ماسينيون أن يكون والد الحلاج يشتغل بصناعة الحلج وأنه ارتحل للعمل في منطقة النسيج الممتدة من تستر حتى واسط على نهر دجلة. انظر «المنحنى الشخصي لحياة الحلاج شهيد الصوفية في الإسلام ص ٦٣. وقريب جداً مما ورد هنا في السيرة الشعبية للحلاج جاء في «أخبار الحلاج»:

«عن ضمرة بن حنظلة السماك قال: دخل الحلاج واسط، وكان له شغل. فأول حانوت استقبله كان لقطان، فكلفه الحلاج السعي في إصلاح شغله، وكان للرجل بيت مملوء قطناً. فقال له الحسين: اذهب في إصلاح شغلي، فإني أعينك على عملك. فذهب الرجل فلما رجع رأى كل قطنه في دكانه محلوجاً، وكان أربعة وعشرين ألف رطل، فسمي من ذلك اليوم حلاجاً» ص ٨٩.

(٢) وردت: «ليس» ـ (م): «إيش» ـ (ت): «وايش».

(**) وردت هذه القصيدة في كتاب «الحلاج موضوعاً للآداب...» تحت عنوان «أشعار قديمة لا يعرف قائلها» ومعها أبيات أخرى هكذا:

يـا الله يـا إخـوانـي	سلـوه عسـى يـرضـانـي
وإن كـان مـا يـرضـانـي	جـددت ثـوب أحـزانـي
أنـا حـسـيـن الـحـلاج	(إيـش تـنـكـروا) حـالـي
أنـا حـلـجـت قـطـنـي	بـالـحـمـد والـقـرآن
فـي شـاهـق الـجـبـال	أنـا عـبـدت ربـي
أنـا ذكـرت ربـي	فـي ظـلـمـة الـلـيـالـي

=

أنــا عــبــدُ ربِّــي حــقــاً (بــلا مــحــالِ)
أنـا قـضـيـتُ عـمـرِي فـي خـدمَـةِ الـديّـانِ
أنـا فَـتى فـي قـتـلِـي (سـبـعـينَ) طـيـلـسـانِ
لـكنّـهـم مـعـاذيـرُ مـا (شـاهـدوا؟) الـمـعـانِـي
أنـا عـبـدتُ ربِّـي فـي ظـلـمـةِ الـلّـيـالـي
فـي حـبِّ ربِّـي قـد صِـرتُ ثـابـتَ الـجَـنـانِ
أنـا فَـتَـحَ لِـيَ الـبـابَ بِـفـضـلِـه دَعـانـي
بِـفـضـلِـه سَـتَـرنِـي وعـفْـوَهُ عـطـانِـي
بـاللّـهِ يـا (خـوانِـي) سـلـوُه عَـسى يـرضـانِـي
إن كـانَ مـا يـرضـانِـي (جـدّدن) فـيـهِ أحـزانِـي

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره قالوا له: قم معنا إلى عند شيخك الجنيد لترجع(١) عما أنت فيه وإلا قطعنا منك الأوصال، قال: فسار معهم حتى وصل إلى الجنيد شيخه فقام له شيخه وعانقه(٢)، وبكى بكاء شديداً، فقام حسين وبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول:

سَقَوْنِي، وقالُوا: لا (تُغنِّي). ولَوْ سَقَوْا
جـبـالَ حُـنَـيـنٍ لـو سَـقَـوْهـا (لَـغَـنّـتـي)(*)

=
أنــا قــضــيــت عــمــري	فــي خــدمــة الــديــان
أنــا فــتــوا فــي قــتــلــي	ســبــعــون مــن الــطــغــيــان
لــكــنــهــم مــعــذورون	مــا شــاهــدوا الــمــعــانــي
لــو شــاهــدوا الــمــعــانــي	مــا أنــكــروا حــالــي
أنــا شــربــت كــأســاً	وســيــدي ســقــانــي
وقــال لــي يــا حــلاج	أعــطــيــتــك الأمــانــي» ص١٩٠

ويذكر الشيبي أن هذه القصيدة وردت في «قصة الحلاج وما جرى له حين ثار به الوجد».

(١) وردت: «فإن رجعت».

(٢) من (ت). وفي (ظ): «وخانقه»: والحدث لم يذكر في (م).

(*) هذا البيت فقط من القصيدة ورد في «ديوان الحلاج» للشيبي في القسم المنسوب=

جبالُ حنينٍ لمْ تكنْ تعرفُ الهوى
ولَوْ أنّها عرفتْ لكانَتْ (تغنّتِي)
حُرِمْتُ الرّضا إنْ كنتُ بعدَ حديثِكُمْ
سمعتُ بِأُذنِي ما حلالِي (فصُمّتِي)
وإنّي لأبكِي العينَ في كلِّ منزلٍ
على طيبِ أيامٍ مضت و (تولّتِي)
أيا سادتِي لَوْلا أخافُ عليكُمُ
زفرتُ فأحرقتُ الخيامَ بزفرَتِي
ولَوْلا مراعاةُ الخيامِ وأهْلِها
قطعتُ طريقَ السّالكِين بِعبرتِي
وسَجّادَتِي زَهْرُ الرّبيعِ ورَوْضتِي
وسَبْعُ المَثانِي والمَثانِي سُبْحتِي
ومجنونُ ليلى ماتَ في الحبِّ واجداً
ولي في هواها في الدُّجى لي وَجْدَتِي
فَيا أيّها العاصِي الّذِي ضاعَ عُمْرُه
وفَرّطَ في الأيّامِ حتّى (تولّتِي)
إذا كنتَ تهوى القومَ (فاهْجُرْ)(١) سِواهُمُ
وبادِرْ إلى بابِ الحَبيبِ (بِسرعتِي)

= للحلاج مع بيت آخر لم يرد هنا، والبيتان جاءا هكذا:

سقوني وقالوا لا تغنِّ، ولو سقوا جبال حنينٍ ما سقيت لغنتِ

تمنت سليمىٰ أن نموت بحبها وأسهل شيء عندنا ما تمنتِ ص ١٠٥

ويعلق الشيبي في الهامش: «للسمهري العكلي اللص (من أيام عبد الملك بن مروان)» ويؤكد نسبتهما في كتابه «الحلاج موضوعاً للآداب. . .» قائلاً. «أنشده [أي البيت الأول] الحلاج كثيراً حتى نسب إليه» ص ٥١.

وجاء هذا البيت مضمناً في قصيدة لابن غانم المقدسي. انظر حول هذه القصيدة «الحلاج موضوعاً للآداب. . .» ص ١٤٦ ـ ١٥٠.

(١) من (ت)، وفي (ظ): «اهجر»، والقصيدة غير موجودة في (م).

وسَلْهُ الرِّضا والعَفْوَ عمّا مَضى

تَجِدْ رحِيماً غفّارَ الذّنْبِ و (الخَطيّتِي)

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره ناوله الشيخ منديله وقال له: خذ لك هذا المنديل(١) يا حسين. فأخذه وحذفه(*) في الهوا، وقال: يا منديل، خذني معك؛ فطار هو والمنديل، ولم يظهر له خبر إلى مضيّ سنة كاملة، فصار أهل بغداد والناس متعجبين من هذا الأمر. فقال الناس: الحمد لله، راح حسين، (واسترحنا منه)(٢) وأكلته الوحوش في البراري والجبال.

قال: فبينما الناس في الكلام، وإذا بحسين الحلاج قد أقبل ودخل من باب بغداد، وهو يقول: لا إله إلا الله، ما يدوم إلا وجه الله، لا إله إلا الله، يا قوم اعبدوا الله، يا قوم اذكروا الله، يا قوم وحدوا الله، يا قوم قولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. قال: فلم تزل الناس خلفه، وهم يكتبون ما يقول حتى وصل إلى عند شيخه، فلما نظر إليه شيخه بكى بكاء شديداً، وأنشد رحمه الله تعالى يقول شعراً(٣):

---

(١) المنديل في (ظ) و (ت) يناوله إياه الجنيد، وفي (م) يناوله إياه «شخص من الإخوان».

(*) بمعنى رمى، ووردت هكذا في (ت)، وفي (م) جاء: «ففتله وألقاه في الهوا».

(٢) (ظ) و (ت): «استراح منه». واستراحة الناس منه، أو ما في معناها غير مذكورة في (م)، وتنفرد (م) بذكر سبب العودة إلى بغداد وهو شوق الحلاج لشيخه.

(٣) في هذا الموقف تذكر (ت) قصيدة «أدر الكاسات» التي سترد هنا مع فروق طفيفة وزيادة أبيات في قصة «الحلاج في السجن».

أما (م) فتنفرد هنا بذكر هذا الحوار بين الحلاج والجنيد: «... ثم اشتاق إلى شيخه الجنيد فدخل من باب بغداد وهو يقول: الله... الله، نعم هو الله:

يا مالك الدنيا ومالك ديني كم ينشرني (الهو) وكم يطويني

ثم يكبر حتى يسد الدرب، ثم يصغر حتى يصير كالمولود، فقالوا: يا حسين. فقال (شعر) يقول ـ أفلح من يصلي على الرسول ـ:

الخوف يميتني والرجا يحييني إن دام (عليا) هجركم يضنيني

ثم دخل إلى زقاق الجنيد، فقال له: ما حاجتك يا حسين؟ فقال: الشوق إليك، وإلى=

قُــلْ لإِخْــوانٍ رَأَوْنِــي مَــيِّــتــاً   فَـبَـكـونِـي ورَثَـوْا لِـي حُـزنـا(*)

= سماع كلامك، وأنت الذي قربتني إلى الحبيب، وإني إلى فراقكم حزين كئيب. فقال له الشيخ: ما منا إلا من له من حبيب نصيب، وما منا إلا من هو (باكي) مشتاق إلى وجه الحبيب، ولكن يا ولدي، صدور الأحرار قبور الأسرار فإذا وقدة في قلب المحب شغلت من اشتياق الحبيب، أشغلتها الأنوار ثم خلع الشيخ (دلقه؟) فإذا هو يفيض بالدم من قلبه، ثم (بكي) فنزلت الدموع مخلوطة بالدم. فقال له: يا شيخي ما هذا (البكى). فقال: الدموع جرت من الاشتياق، والدما جرت خوفاً من الفراق. يا حسين رُحم امرؤ عرف قدره، وكتم سرّه، وحفظ أمره. فعانق الشيخ وقال: هذا صبر لا أطيقه. ثم خرج يمشي في شوارع بغداد، وهو يقول: الله.. الله، ما أنا إلا الله [و] أنشد:

قل لمن يبكي علينا حزنا   افرحوا لي قد بلغت الوطنا
إن موتي هو حياتي   إني أنظر الحق جهاراً معلناً

ثم قال: أنا لا أحب البقا في هذه الدار.

يقول: لا تروعكم لوعة الموت فما هي إلا انتقال من هنا إلى هنا:

كنت أرضى سكوني عندكم   إنما دار بلاء وعنا
أنا عصفور وهذا قفصي   كان سجني وقميصي زمنا
فأشكر الله الذي خلصني   وبنى لي في المعالي ركنا»

(*) هذه القصيدة من الشعر المنسوب للحلاج، ويعقب عليها الشيبي في «ديوان الحلاج» بقوله:

«على لسان الحال مجاراة للحرج، وتقليداً وتضميناً، أو على الصحيح تخريباً لقصيدة ابن المسفر المشهورة التي نسبت إلى الغزالي والسهروردي المقتول» ص ١٢٣.

والقصيدة لا ترد كلها في الديوان إنما هذه الأبيات التي نذكرها وفق أرقام ترتيبها في القصيدة، ويمكن بذلك ملاحظة الفروق بين «الديوان...» و «السيرة...»:

٣ ـ «أنا عصفور وهذا قفصي   كان سجني وقميصي كفنا
٧ ـ فاشكروا الله الذي خلصنا   وبنى لي في المعالي مسكنا
٩ ـ إن موتي هو حياتي إنني   أنظر الله جهاراً علنا
١٣ ـ فافهموا قولي ففيه نبأ   أي معنى تحت قولي كمنا» ص ١٢٣

وقد أورد الشيبي هذه القصيدة في كتابه «الحلاج موضوعاً للآداب...» ونسبها لابن المسفر أبي الحسن علي بن خليل السبتي ت ٦٠٠ هـ/١٢٠٣ م. انظر ص ١١٨ ـ ١٢١.

وعلى الموسيقا ذاتها وزناً وقافية يورد الشيبي في «الحلاج موضوعاً للآداب...»=

أَتَــظُــنُّــونَ بِــأَنِّــي مَــيِّــتٌ		لَـيسَ ذاكَ الـمـيـتُ ـ والـلَّـهِ ـ أَنـا
أنـا فـي صُـورٍ وهـذا جـسـدِي		كـانَ بـيـتِـي وقَـمـيـصِـي زَمَـنـا
أنـا كـنـزٌ وحـجـابِـي مـطـلـبٌ		مِـن تـرابٍ قـد تـخـلّـى لِـلْـفَـنـا
أنـا دُرٌّ قـد حـواهُ صَـدَفٌ		كـانَ سجـنٌ (فَـأَلِـفْـتُ؟) الـسِّـجـنا
أنـا عُـصـفـورٌ وهـذا قـفـصِـي		طِـرتُ مـنـهُ وتـركـتُـه رَهـنـا
أحـمـدُ الـلَّـهَ الّـذِي خـلّـصَـنِـي		وبَـنـى لِـي فـي الـمـعـالِـي وَطَـنـا
كُنتُ قبلَ الـيَـوْمِ (مـيْـتٌ) بينكُمْ		فَـحَـيِـيـتُ (إن) خـلـعـتُ الـكَـفـنا
وأنـا الـيـومَ أنـاجِـي مـلأً		وأرى الـلَّـهَ جَـهـاراً عَـلـنـا
عـاكـفـاً فـي الـلّـوحِ أَقْـرا وأَرى		كُـلَّ مـا كـانَ ويـأتِـي ودَنـا
يـا قـريـبٌ يـا مـجـيـبٌ اهْـدِنِـي		مَـنْ سِـواكَ أنـتَ كـريـمٌ (مُـغْـلـنـا)
وطـعـامِـي وشـرابِـي واحـدٌ		فـافْـهَـمُـوهُ فَـهْـوَ رمـزٌ (حَـسُـنـا)
فـافـهـمُـوا الـسِّـرَّ فـفـيـهِ نـبـأٌ		مِـنْ (مـعـانِـي) تـحـتَ لـفـظٍ كَـمـنـا
فـاهـدمُـوا بـيـتِـي ورضُّـوا قـفـصِـي		وذَرُوا الـكـلَّ يـقـيـنـاً بـيِّـنـا
لَـقَـدْ رِحـتُ وقـد خـلَّـفْـتُـكـم		لـسـتُ أَرْضـى دارَكُـم لـي وَطَـنـا
لا تـظُـنُّـوا الـمـوتَ مـوتـاً إنّـه		لَـحـيـاةٌ فـهْـوَ غـايـاتُ الـمُـنـى
خـبّـرَتْـنـا الـدّارُ يـومـاً عـنـهُـم		فـإذا مـا مِـتُّ طـارَ (الـوَسَـنـا)

= تحت عنوان «أشعار قديمة لا يعرف قائلها» هذه الأبيات مشيراً إلى أن مصدرها هو «قصة حسين الحلاج وما جرى له حين ثار به الوجد»:

إن موسى الشوق في طول الهنا		واقـفـاً والـحـق مـنـه قـد دنـا
يـتـمـنـى نـظـرة مـن نـالـهـا		صار بعد الفقر من أهل الغنى
يـتـمـنـى نـظـرة قـدسـيـة		شـرب الـحـلاج مـنـهـا واقـتـنـى
وغـدا يـشـطـح فـي أقـوالـه		«يـا أصيـحـابـي، أنـا الـحـق أنـا»
اقـتـلـونـي يـا صـحـابـي عـجـلـوا		إن فـي قـتـلـي حـيـاتـي والـمـنـى
يـا سـكـارى مـن شـرابـي عـربـدوا		فـكـؤوس الـوصـل قـد حـفَّـت بـنـا»

«الحلاج موضوعاً للآداب..» ص ١٨٤.

(لا تَكُنْ)[1] في هجمةِ الموتِ (فزع) إنّما هي انتقالٌ مِنْ هُنا إلى هُنا
وخُذوا في الزّادِ جِمْلاً واثِقاً ليسَ بالغافِلِ[2] منّا مَنْ وَنا
واحسِنُوا الظَنَّ بَربٌ راحِم يَشْكُرُ السَّعْيَ وتَأْتوا أمنا
ما أرى نفسِيَ إلاّ أنْتُمُ واعتقادِي أنّكُمْ أنْتُمْ أنَا
(عنصرُ الهامَةِ منّا؟) واحدٌ وكَذا الجِسمُ جميعاً مَعَنا
فَمَتى ما كانَ خيْراً (فَلُقاً) ومَتى ما كانَ شرّاً (فبنا)
أَسْأَلُ لِنفسِي راحةً رحمَ اللّهُ صديقاً أَمَّنا
وسلامُ اللّهِ عليكُم دايماً سلامٌ مِنْ مُحِبٌّ (وتَنا؟)

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، وسمع شيخه منه هذا الكلام، دُهِش عقله، وطار لبه، وقال له: يا ولدي. يا حسين، أنت وصلت إلى هذه المنزلة؟ وإلى هذا المقام؟.

فقال له: وصلت ببركة الله تعالى ورسوله، وبركتك يا شيخي.

وقام وصار يشطح في كلامه، يزيد، وينقص، (فأتوا) أهل بغداد إلى الشيخ، وقالوا له: يا شيخ قد أتعبنا مريدك حسين الحلاج، وأشغلنا عن بيعنا وشرائنا.

قال الشيخ: أمسكوه، واحبسوه إلى غد حتى ننظر ما يكون من أمره، إما أنه يرجع عما هو فيه، وإما ينفذ حكم الله فيه.

فقالوا له: يا شيخ نحن لم نقدر على مسكه.

فقال لهم: ولم ذلك؟.

فقالوا له: هذا ساعة يمشي على وجه الأرض، وساعة يمشي في الهوا.

فقال لهم: قولوا له: يقول لك شيخك: ادخل في هذا المكان. فإنه يدخل.

---

(١) وردت: «لتكن».

(٢) هكذا وردت، وربما كانت «بالعاقل».

قال: فجاؤوا إليه، وأخذوه، وأتوا به إلى باب السجن، وقالوا له: يا حسين، يقول لك شيخك: ادخل إلى هذا الحبس.

فلما سمع بذكر شيخه قام دخل إلى السجن، فلما دخل قفلوا عليه الباب، وذهبوا، وخلوه. فلما دخل وجد في السجن خلقاً كثيراً، فلما رآهم قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، يا معشر المسلمين، ما حبسكم إلا ذنوبكم، وغفلة قلوبكم عن محبوبكم، وقد رغبتم في هذه الدنيا الدنية عن سيدكم ومطلوبكم، فلو رجعتم بقلوبكم إليه، لبكيتم بعيونكم عليه، وكان جعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً، ولكن اسمعوا مني ما أقول، إن كان لكم معقول، وإلا قعادكم في هذا الحبس يطول.

قال: فعند ذلك قامت المحابيس، وجلسوا حوله، فقام وبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول شعراً:

أَدِرِ[1] الكاساتِ في جنحِ الظّلامْ ... واسقِنِي من خمرةٍ تشفِي السّقامْ
خمرةٌ في دنِّها قد عُتِّقَتْ ... قد سُقِيَها كلُّ صبٍّ مُسْتهام
خمرةُ المُصطفى خيرُ الوَرى ... قَدْ صَفَتْ والأَوْليا فيها هِيامْ
فسُقِيها سيِّدِي أَبو الوَفا ... فبَقِي من سُكْرِها فِيها إِمامْ
وسُقِيها الشّيخُ عبدُ (القادرِي) ... فرَقِي منها إلى أَعْلى مقام
وكذا ابنُ الرِّفاعِي أحمدٌ ... مَنْ سُقِيها هامَ فيها كالهُيامْ
ورِجالُ اللّهِ منها قد سُقُوا ... شربةً هَامُوا وقامُوا في الظّلام
فهُمُ السّاداتُ من بَيْنِ الوَرى ... هَجَرُوا في حبِّهِ طيبَ المنام
يا رِجالَ اللّهِ هذا حبُّكُم ... قَدْ أتاكُم كُلُّكُم قومُوا قِيام
واشْربُوا من صِرْفِ صافٍ فَبِهِ ... شربةٌ يصفُو لَكُمْ هذا المَقام
فَنَظَرْنا سيِّداً ما مِثْلُه ... كامِلاً هُو (ذاتُ) وصفِ في الأنام

---

(١) من (ت)، وفي (ظ): «أرى». والقصيدة غير موجودة في (م).

فـرآهُ قَـدْ تـجـلّـى مُـنْـعِـمـاً ثُـمّ (جـانـا) بِـفَـضْـلٍ وسـلامْ

فَـسَـقـانـا شـربـةً فـي حـضـرةٍ مَـذْ تـجـلّـى فـي لُـيَـيْـلاتِ الـصّـيام

هـذه خَـمْـرَتُـنـا يـا فَـقِـيـرِي من خـمورِ المُـصطفى بدرِ التّـمام

ومـحـمـدٌ سـيِّـدٌ هُـوَ سَـنَـدٌ اسْـألـوا يَـشْـفَـعْ لـنـا يـومَ الـزّحـام

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره قام وأذن العشاء، وصلى بالمحابيس العشاء الأخير، فلما فرغ حسين من (صلاته)[(١)] جلس يذكر الله تعالى وهم يذكرون الله معه إلى الصباح، فقام وصلى بهم صلاة الصبح، فلما فرغ من صلاته قام وخط في أرض السجن خطاً[(٢)]، وعمل فيه صفة مركب، وجلس وسطها، وقال: يا فقرا من أراد منكم النجاة لنفسه، والخلاص من السجن، فليقم يجلس معي في (هذه) المركب، مركب النجاة، فعند ذلك قامت المحابيس، وجلسوا معه وسط المركب، فقام وقال لهم: يا فقرا حركوا مركبكم بذكر الله، واذكروه بالصدق والمحبة، وقولوا كلكم معي عدلاً مخلصاً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ﷺ.

قال: فلما رفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى، وإذ بذلك الخط تحرك وصار مركباً عظيماً، وقد صار في وسط البحر[(*)]، فقال لهم: يا

---

(١) وردت: «شعره».

(٢) في (م): «خط بجانب حيط الحبس»، وفي (ت): «خط في جانب حائط السجن».

(*) من كراماته في السجن مما جاء في كتاب «أخبار الحلاج» «وعن أحمد بن فاتك قال: لما حبس الحلاج ببغداد كنت معه. فأول ليلة جاء السجان وقت العتمة. فقيّده ووضع في عنقه سلسلة، وأدخله بيتاً ضيقاً. فقال له الحسين: لم فعلت بي هذا؟.
قال: كذا أمرتُ. فقال له الحلاج: الآن أمنت مني. قال: نعم.
فتحرك الحلاج فتناثر الحديد عنه كالعجين، وأشار بيده إلى الحائط، فانفتح فيه باب، فرأى السجان فضاء واسعاً فعجب من ذلك. ثم مد الشيخ يده وقال: الآن افعل ما أمرت به. فأعاده كما فعل أول مرة. فلما أصبح أخبر السجان المقتدر الخليفة بذلك. فتعجب الناس، واستأذن نصر القشوري الخليفة في بناء بيت له في السجن، فأذن له، وكان محباً له. فبنى له بيتاً، وفرشه، وكنت معه فيه إلى أن أخرج، وقتل، وصلب» ص ٩٠ ـ ٩١.

=

قوم، دوموا على ذكر الله. فقام وفرّ من المركب وصار واقفاً على وجه الماء، وصار يجري المركب خلفه حتى وصَّله إلى البر، فعند ذلك نزَّلهم من المركب وقال لهم: سيروا إلى حال سبيلكم، فذهب كل واحد إلى حال سبيله، وقام حسين يمشي حتى دخل من باب بغداد، وهو يقول: يا قوم ظننتم أنكم (فارقتم) بيني وبين حبيبي، وزعمتم أنه قد فاتني منه نصيبي، أما علمتم أنه معي في حضرتي ومغيبي، إن حضرت فهو قريبي، وإن غبت فهو حبيبي، وإن دعوته فهو مجيبي، وإن مرضت فهو معيدي، وبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول:

= وأيضاً «عن محمد بن خفيف قال: رجعت من مكة، ودخلت بغداد، وأردت أن ألقى الحسين بن منصور، وكان محبوساً قد منع الناس عنه، فاستعنت معارفي، وكلموا السجان، وأدخلني عليه. فدخلت السجن، والسجان معي. فرأيت داراً حسنة، ورأيت في الدار مجلساً حسناً وفرشاً حسناً، وشاباً قائماً كالخادم.

فقلت له: أين الشيخ؟.

فقال: مشغول يشتغل.

فقلت: ما يفعل الشيخ إذا كان جالساً ههنا؟.

قال: ترى هذا الباب، هو إلى حبس اللصوص والعيارين، يدخل عليهم، ويعظهم، فيتوبون.

فقلت: من أين طعامه؟.

فقال: تحضره كل يوم مائدة عليها ألوان الطعام، فينظر إليها ساعة، ثم ينقرها بإصبعه، فترفع، ولا يأكل.

فإذا الحلاج قد خرج إلينا، فرأيته حسن الوجه، لطيف الهيئة، عليه الهيبة والوقار، فإذا هو سلّم علي، وقال: من أين الفتى؟.

قلت: من شيراز.

فسألني عن مشايخها، فأخبرته، وسألني عن مشايخ بغداد، فأخبرته.

فقال: قل لأبي العباس بن عطاء احتفظ بتلك الرقاع.

ثم قال: كيف دخلت، فأخبرته.

فدخل أمير الحبس يرتعد، فقبل الأرض بين يديه، فقال له: مالك؟.

قال: سعي بي إلى أمير المؤمنين بأني أخذت رشوة، وخلّيت أميراً من الأمراء، وجعلت مكانه رجلاً من العامة وها أنا ذا أحمل لتضرب رقبتي.

فقال: امضِ، لا بأس عليك. =

تجلّى ليَ المحبوبُ في القلبِ (أخلاهُ)[1]
عن الغَيْرِ حتّى صارَ قلبِي مَثواهُ
وقرّبَنِي سِرّاً، ولِلْقلبِ قَدْ هداهُ
وأَوْلانِي التّوفيقَ مَوْلَى هُوَ اللّهُ
وفكَّ خِتاماً عن دِنانٍ مُدامُها
نجومٌ وأقمارٌ وشمسٌ (وميّاهُ؟)[2]
وناوَلنِي كأساً كأنَّ شُعاعَهُ
كَبْرقٍ ولا برقٌ يُحاكِي مُحيّاهُ
سقانِي من أهواهُ كاساتِ حُبّهِ
شَراباً قَديماً قُرْقُفاً جَلَّ مَعْنَاهُ
فَأسكرني ذاكَ المُدامُ فطابَ لِي
خطابُ الّذِي أهواهُ بِقولِي ألا يا هُوْ
وشاهدتُ من أهواهُ في حالِ سكرتِي
فمحبوبُ (إثباتِي؟) وصحوِي بِمعناهُ[3]
فمَنْ كانَ ذا قلبٍ يحبُّ لِحبّهِ
ومَنْ كانَ ذا صدقٍ يعزّ بِلقياهُ

= فذهب الرجل، وقام الشيخ إلى صحن الدار، وجثا على ركبته ورفع يديه، وأشار بمسبحته إلى السماء، وقال: يا رب.

ثم طأطأ رأسه حتى وضع خدّه على الأرض، وبكى، حتى ابتلت الأرض من دموعه، وصار كالمغشي عليه.

وهو على تلك الحالة حتى دخل أمير الحبس، وقال: عفي عني. قال ابن خفيف: وكان الحلاج جالساً في طرف الصفة، وفي آخر الصفّة منشفة، وكان طول الصفّة خمسة أذرع، فمدّ يده، وأخذ المنشفة، فلا أدري أطالت يده، أم جاء المنديل إليه فمسح وجهه بها [كذا أنث المنديل] فقلت: هذا من ذاك» ص ١٠١ ـ ١٠٣.

(١) من (ت). وفي (ظ): (محلاه؟). والقصيدة غير موجودة في (م).

(٢) (ت): «محياه».

(٣) البيت غير موجود في (ت).

فَكَمْ مِن رجالٍ شاهدوهُ فأصبحُوا
هُياماً سَكْرى. كلّ مَنْ كانَ يهواهُ

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، وإذا بالمؤذِّن قال: الله أكبر.. الله أكبر..

فقال له حسين: تكذب..!.

فلما سمعه الناس أنه قد كذب المؤذِّن، قاموا إليه، ومسكوه، وقد هموا بقتله، وقالوا ما هذا الكلام الذي قلته! تكذب المؤذن..! ومن كذب المؤذن كفر وحل هرق دمه في الأربع مذاهب. فقال لهم: (أنا ما كذبته في المقال، وإنما كذبته في الصدق في الحال)[1] فلو قال: الله أكبر ـ بصدق الإشارة[2] ـ ما حملته هذه المنارة، وتفتت من تحت أقدامه الحجارة. و (انتشر) منهم، وهرب، فلحقوه، فهرب، ودخل في مدرسة، فقفلوا عليه أبوابها، وذهبوا إلى الخليفة، ثم أعلموه بذلك، وقالوا له: اعلم يا خليفة الله في أرضه، أن (حسين) الحلاج كان غايباً و (جا). فقال المؤذن: الله أكبر.. الله أكبر فقال له: تكذب. وما يكذب المؤذن إلا من قد كفر، وحل هرق دمه. فقال الخليفة: أين هو؟.

فقالوا له: قد حبسناه في المدرسة، ويكون تحت علمك الشريف. قال: فلما سمع الخليفة من الناس هذا الكلام، قام من وقته، وهو (ممتزج) من الغيظ، وسار معه القوم إلى أن وصلوا إلى المدرسة فوجدوه قد خرج منها، وقد كبر حتى ما بقي يسعه مكان، فما قدر أحد أن يتقدم إليه منهم، ومن (الهيئة؟) التي كانت عليه، فتركوه، وساروا، فلما أصبح الصباح، أتوا إليه فوجدوه يبكي بكاء شديداً، فلما رآهم حسين الحلاج أنشد يقول شعراً:

خُذِ القناعَةَ مِنْ دنياكَ، وارضَ بِها ... وخُذْ لِنفسِكَ[3] مِنها راحةَ البَدَنِ

---

(١) هذه العبارة من (م)، وفي (ظ): «أنا ما كذبته في المقال، ما كذبته إلا في الكلام». وفي (ت): «أنا ما كذبته في المقال، فلو قال..».

(٢) في (م) لم ترد كلمة: «الإشارة».

(٣) (ت) «واجعل نصيبك..». والبيتان غير موجودين في (م).

وقُلْ[1] لِمَنْ مَلَكَ الدّنيا بِأجمعِها هَلْ راحَ مِنها سوى بالقطنِ والكفنِ

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره، سار وتركهم، ولم يقدروا عليه، فقالوا له: يا حسين.. إنَّ الخليفة يريد مناظرتك، ومجادلتك مع علماء بغداد، فسار إلى عند الخليفة، فرأى العلماء مجتمعين عند الخليفة، فبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول شعراً:

لمّا ذكرتُ عذابَ النّارِ أزعجنِي ذاكَ التّذكُرُ عن أهْلِي وأوْطانِي

وصرتُ في القَفْرِ أرعى الوحشَ مُنفرداً كما ترانِي على وجدِي وأحزانِي

وذا قليلٌ على مثلِي لِجُرمَتِهِ فما عَصى اللّهَ عبدٌ مِثْلَ عصيانِي

نَادُوا عليَّ، وقُولُوا في مجالِسكُمْ هذا المُسِيءُ وهذا المُذنبُ الجانِي

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، قال له الخليفة: يا حسين.. إن أهل بغداد وعلماءها يريدون مناظرتك، ومجادلتك. فقال له: حباً وكرامة. أحضرهم إلى بين يديك.

فأرسل الخليفة خلفهم، وأحضرهم، وأكرمهم غاية الإكرام، وقال لهم: هذا حسين قد أحضرناه بين أيديكم، فما تقولون فيه؟ قال له العلماء: يا حسين. أنت تكذب المؤذّن، فما يكون عندك في هذا الكلام، وما يكذب المؤذن إلا من قد كفر، وحلَّ هرق دمه، فما تقول في هذا الأمر؟ فقال لهم: لا تخذلوني بكلامكم[*].

---

(١) (ت): «وانظر».

(*): جاء في (أخبار الحلاج): «إن رجلاً من الأكابر يسمى ابن هارون المدايني استحضر الحلاج وجماعة من مشايخ بغداد ليناظروه فلما اجتمعوا تفرس الحسين بن منصور فيهم النكارة، فأنشأ يقول:

يا غافلاً لجهالةِ عن شاني هلا عرفت حقيقتي وبياني

فبهت القوم. وكان لابن هارون ابن مريض مشرف على الموت، فقال للحلاج: ادعُ له. فقال الحلاج: قد عوفي فلا تخف. فدخل الابن كأنه لم يمرض قط. فتعجب الحاضرون من ذلك. فأتى ابن هارون بكيس مختوم، وقال: يا شيخ فيه ثلاثة آلاف دينار، اصرفها في ما تريد. وكان القوم في غرفة على الشط، فأخذ الحلاج =

فقالوا له: بيّن لنا ذلك.

فقال لهم: احفروا لي في هذا المكان حفرة، واملؤوها فحماً وناراً، وأنا أبيّن لكم ذلك.

فحفروها في الحال، وملؤوها فحماً، وناراً.

فقال: أحضر يا أمير المؤمنين هاوناً[1] من نحاس، فأحضر أمير المؤمنين (هوناً) من نحاس، وكان وزنه (أربعون) رطلاً بغدادياً، فلما أحضره، قام حسين، وألقاه في وسط النار، وصبر عليه حتى بقي جمرة، فقام حسين وجلس على (الهون) ووقف على رجليه في وسط النار على (الهون)، وقال لهم: يا علما!، ويا فقها!، ويا عامية!، ويا سوقية!، ويا أهل بغداد! من كان منكم يريد مجادلتي، ومناظرتي (فليأتي)، ويجلس عندي في هذه النار على (الهون) حتى تحرق النار بدنه.

قال الراوي: فلما سمعوا من حسين هذا الكلام، ولوا الأدبار، و (أركنوا) الكل إلى الفرار[2].

فقال لهم حسين: يا ويلكم، تهربون من نار الدنيا، ولا تهربون من نار الآخرة، ومن أراد منكم أن ينجو من نار الآخرة، فلا يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك الصلاة والصيام. ثم إنه صار يحدثهم ويعظهم، وهو واقف على (الهون) وسط النار، فلما زاد به

= الكيس، ورمى به إلى دجلة، وقال للمشايخ: تريدون مناظرتي؟ على ماذا أناظر؟، أنا أعرف أنكم على الحق، وأنا على الباطل، وخرج. فلما أصبحنا استحضر ابن هارون الجماعة، ووضع الكيس بين أيديهم وقال: البارحة كنت أتفكر في ما أعطيت الحلاج، وندمت على ذلك. فلم تمضِ ساعة على ذلك إذ جاء فقير من أصحاب الحلاج، وقال: الشيخ يقرئك السلام، ويقول: لا تندم فإن هذا كيسك، فإن من أطاع الله، أطاعه البر والبحر» ص ٦٠ ـ ٦١.

(١) وردت في (ظ) «بهون»، وفي (ت): «أحضروا لي هاوناً» وفي (م) لا يذكر الهاون في البداية، ولكن جاء: «فوضعه على الجمر، وجلس فوقه»، ويأتي بعد ذلك: «وقف على الهاون. وقال: الله أكبر» وبعد ذلك جاء «انكسر الهون». وفي العامية يسمى (هون) بفتح الهاء والواو.

(٢) (م): «(فقاموا) الجميع هاربين». (ت): «ولوا هاربين، وإلى النجاة طالبين».

الغرام من العشق، حطَّ إصبعه في أذنه، وقال: الله أكبر. . الله أكبر. فانطفت النار، وفرقع الهاون، وصار ستين[1] قطعة.

فقال حسين: يا أمير المؤمنين، لو قال المؤذن: الله أكبر. بصدق الإشارة، لما حملته هذه المنارة، وكانت تفتتت من تحت أقدامه الحجارة. أنا ما كذبته في المقال، ولكن كذبته في الكلام[2]، وإني نظرت إلى ديك العرش.

فلما رأت أهل بغداد منه هذه الكرامات، ولوا الأدبار وأركنوا إلى الفرار، وقالوا: ليس لنا طاقة.

فذهب حسين إلى شيخه، وبات عنده تلك الليلة، وإذا برجل قد دخل على الخليفة، وكان اسمه (خالد)[3]، وناوله ثمانين[4] فتوى على حسين الحلاج بالكفر، وتلك الفتاوى من أربعة وثمانين[5] عالماً من علماء بغداد، وعلماء الشام، وعلماء مصر بقتل حسين الحلاج! صلاحاً للمسلمين.

فلما قرأها الخليفة، وفهم مضامينها أرسل إلى الشيخ الجنيد يعلمه بالقضية من أولها إلى آخرها، وليس في الإعادة إفادة.

وقال له: يا شيخ. . الأمر فوضناه إليك في قبض حسين الحلاج. . ترسله إلى عندي مكتوفاً (حتى إننا) نقاصصه، بما يوجب عليه في شرع الله تعالى، لأنه زاد في كفره.

قال الراوي بإسناده: فلما سمع الشيخ من الخليفة هذا الكلام (مسك حسين) وكتّفه، وأرسله إلى الخليفة، وقال: إني قد امتثلت

---

(١) في (م) لم يذكر عدد القطع، وفي (ت): «سبعين قطعة».

(٢) جملة «أنا ما كذبته. . ولكن. .» لم ترد في (م) و (ت).

(٣) (م): «حامد بن الوليد». (ت): «خالد».

(٤) كذلك عدد الفتاوى في (ت). وفي (م) لم يذكر عدد الفتاوى.

(٥) تجمع النسخ الثلاث على هذا الرقم، وهو يتفق مع عدد الشهود الذين شهدو بإدانة الحلاج في الروايات التاريخية. انظر على سبيل المثال: «المنحنى الشخصي لحياة الحلاج. .» ص ٧٧.

أمرك ـ يا أمير المؤمنين ـ فافعل به بما قدّر الله تعالى عليه مما يوجبه الشرع.

قال: فلما نظر حسين نفسه بين يدي أمير المؤمنين مكتوفاً بكى بكاء شديداً حتى غُميَ عليه، فلما أفاق أنشد:

سلّمتُ روحِي من البَلوى لِمتلِفِها[1]
إلاّ لِعلمِي بأَنَّ الموتَ يُحيِيها
نُفسُ المحبِّ على (الأسقام)[2] صابرةٌ
لَعَلَّ مُمْرِضَها يوماً يُداوِيها
ونظرةٌ منكَ يا سُؤلِي ويا أمِلي
أشهى إليَّ مِنَ الدّنيا وما فِيها
وليسَ للِنَّفسِ آمالٌ تُؤمّلُها
سوى رضاكَ فذا أَقْصى أمانِيها

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، قال له شيخه: يا حسين.. اصبر، فإنه الوقت قد قرب، والأجل قد حضر.. سلمها تسلم. لقد أتعبتني، وأتعبت نفسك، وأتعبت الناس والخليفة والفقها والعلما، وأنا أقول لك: اكتم سرك وإلا ما تسلم.

قال الراوي: فلما سمع حسين من شيخه هذا الكلام على أنه مقتول لا محالة، التفت يميناً وشمالاً، وقال: ائتوني بدواة وقرطاس، فأتوه بما طلب، فكتب فيه: لكم مهجتي طوعاً، لكم مهجتي رضا، لكم جسدي مني، لكم دمي (حِلٌّ). ثم أنه ألقى الورقة في الهوا، فغابت ساعة، ثم رجعت إليه مكتوباً فيها: أنت إن

---

(١) (م): «ألم تسلم النفس لأسقام تتلفها...».
(ت): «سلمت نفسي من البلوا لمتلفها».

(٢) وردت: «(الإتقان؟)». (م): «(الأسام؟)». ولم يرد البيت في (ت). ورجحنا «الأسقام» لورودها في البيت الأول في (م) ولرجحان أن تكون «(الأسام؟)» في (م) هي الأسقام، ولأن الشطر الثاني يورد من لوازم السقم «ممرضها».

كنت منا، وتريد قرب وصلنا، طبعُنا قتل النفوس في شرعنا (حلو قريب؟)[1].

قال الراوي: فلما فرغ حسين من هذا الكلام بكى بكاء شديداً، وأنشد يقول:

أُقتلوني يا ثِقاتي ... إنّ في قَتْلي حَياتي[2]
وحياتي في ممَاتي ... ومَماتي في حَياتي
اقْتلوني واحْرقوني ... في عظامي الباليات
تَجدوا سرَّ حبيبي ... في طويِّ الباقيات
فأنا أستغفرُ اللَّـ ... ـهَ عنْ عظيمِ (السَّيِّئاتِ؟)

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعْره، وإذا بشخصين عظيمين من أكابر بغداد، وكان الخليفة (يحبهم) حباً شديداً ويعمل (بقولهم لأنهم كانوا) عنده في (أعلى؟) المنازل، ولا يأخذ إلا (بشهادتهم)، و (كانوا) أقضى قضاة بغداد، وأكبر علمائها، فلما دخلا على الخليفة

(١) وردت الحادثة في (م) بعد ذكر قطع يده الشمال «والدم يكتب على الأرض الله (ثمانون) موضعاً، وهو يقول: أنا عنبر الحضرة. فقال له الجنيد: أتعبتني، وأتعبت روحك، أما تكتم السر، أما تسلم. فقال: آتوني بقلم ودواة وورقة. فكتب ورقة، فطارت في الهوا، ثم رجعت (مكتوب): إن كنت (عاشق) فاصبر على الأمر كله، أنا طبعي قتل النفوس، وشرعي يحل له. وعند ذلك أنشد يقول: اقتلوني يا ثقاتي . . .».
ووردت الحادثة في (ت) مشابهة تماماً لـ(ظ) مع كلمة «(حلو)» الغامضة في معناها. ولكن لم تذكر كلمة «(قريب؟)».

(٢) في (م) وردت الأبيات (١ ـ ٣ ـ ٤) بأخطاء كثيرة. وفي (ت) وردت في هذا الموضع قصيدة: «سقوني وقالوا لا (تغني) . . .» التي وردت في قصة «طيران الحلاج».
وقصيدة «اقتلوني يا ثقاتي . .» هي للحلاج، ووردت في «ديوان الحلاج» مؤلفة من / ٩٤/ بيتاً. والأبيات المذكورة جاءت في الديوان هكذا:

«ومماتي في حياتي ... وحياتي في مماتي» ص ٣٤
«فاقتلوني واحرقوني ... بعظامي الفانيات» ص ٣٥
«تجدوا سر حبيبي ... في طوايا الباقيات» ص ٣٥

البيت الخامس غير وارد، والبيت الأخير، وهو تكرار للأول لم يكرر في الديوان.

سلما عليه، ورد (عليهم) الخليفة السلام، وقال: ما (شأنكم)؟.

(قالوا): نشهد أن (حسين) الحلاج قد كفر لأنه كان ماشياً ذات يوم في السوق، وعليه جبة من صوف، فقال له الناس: (بصّرنا؟) يا حسين ما في جبتك. فقال لهم: الله.

فعند ذلك لامه العلما، ونحن معهم، فقال لهم: اذهبوا فهذا معبودكم تحت الأرض، وأشار إلى الأرض بإصبعه فقالوا: كيف تجعل معبودنا الأرض، ونحن نعبد الله وحده لا شريك له!.

فقال لهم: ائتوني بـ (مسحاة وقفّة) فحفر موضع ما أشار لهم بإصبعه، فبان كنز ذهب، فقال لهم: يا قضاة.. أنتم تبيعون دينكم بدنياكم، ولم تعبدوا الله على حقيقة عبادته.

< فقال حسين: > يا سادة العلما، أما قولكم الأول في قضية الجبة في قولي: إن فيها الله؟، فيعني أنا من مصنوعات الله تعالى. وأما الكلام على الكنز، فإنكم (تعملوا) بالذهب الحق (باطل)، والباطل (حق). فكأنكم عبدتم الذهب، ولم تعبدوا الله تعالى على حقيقته، لأن في الحقيقة من أحبّ شيئاً سوى الله ورسوله فقد صار عبداً له. فعند ذلك أمر الخليفة بسجنه تلك الليلة، وأن يقيدوه و (يجنزروه؟) ويكتفوه في عمود من رخام، فعند ذلك دخل عليه رجل من الأوليا الكبار، وكان من أصحابه، وسلم عليه، ووجده بذلك في أسوأ حال. فقال له حسين: ما (جابك) في هذه الليلة؟.

فقال: يا مولاي.. جيت أسألك عن ثلاثة أشياء: الأولى: أسألك عن الصبر، والثانية: الفقر، والثالثة: الولاية.

[فقال حسين:] نم عندي، وأنا أريك الليلة اثنتين، وغداً أريك الثالثة، فنام تحت رجليه إلى قليل من الليل، فنعس تحت رجلي حسين، فما أحسَّ إلا وشيء (يحتسس؟) عليه، وينبهه، ويقول له: قف يا شيخ فلان. فقال: من ينبهني؟.

قال له: حسين.

قال: أرني (الثلاث كرامات).

(ثم قال)[1] له: من فكّك من الحديد؟

فقال: الله تعالى.

وأخذ بيده، وجاء به إلى صدر السجن، وأشار إلى الحايط فانفلق، وبانت فلاة واسعة، وهي تضيء نوراً أقوى من الشمس والقمر والنهار، وكان ذلك في ظلمة الشهر. فقال لحسين: ما هذا النور يا سيدي؟ قال: اذهب وتفرّج في ذلك الوادي.

فذهب، ونظر إلى ذلك، فوجد الوادي من اللولو الرطب، والصغير من الحصا (جوهر)، والحجارة الكبار من البهرمان، والفيروزج.

فرجع إلى حسين، وأعلمه بذلك.

[فقال له:] أنت سألتني عن الصبر، والفقر، فأنت رأيتني وأنا صابر على السجن، والضيق في الحديد، لم أفك نفسي. والثاني: ضربني السجان (على ثمن الزيت ليقيد به السجن، ولم أعطه نبأ)[2]، والله تعالى قدرني على هذه الرمال تبقى معادن، فهذا هو الفقر والصبر. ولما يقتلوني أريك الثالثة، وهي الولاية[3].

فلما أصبح النهار، أرسل (وراه) الخليفة، فمثل بين يديه، وسلم أمره إلى الله العظيم، وكتف نفسه، وبرك، واحتسب بالله للقضاء والقدر، فلما رأت المشايخ والأوليا منه هذه الكرامات، قام الشيخ الشبلي رضي الله عنه، ومعه (سبعين) فقيراً بالتهليل والتكبير لله رب

---

(١) وردت: «فقال له» وأوردناها هكذا ليتم المعنى.

(٢) العبارة غامضة.

(٣) تنفرد (ظ) بحوادث الكنز والجبة والأسئلة الثلاثة للرجل الذي دخل عليه السجن، ولكن (م) تذكر هذه الحادثة لرجل دخل عليه في سجنه هذا: «.. وقال (بعضهم) أتيته وهو في السجن أسلم عليه، وقلت له (بدي) منك رمانة، وإذ بشجرة قد نبتت في السجن، فقطع منها رمانة، ثم قال: اذهب.
فذهبت، فقلت له: ما هذا؟.
فقال: هذه حشيشة ألعب بها، ولا أقنع بشيء دون مجالسته».

العالمين، وخرج شيخه الجنيد، ومعه (أربعين) فقيراً بالتكبير والتسبيح لله رب العالمين، وكادت مرايرهم أن تنفطر من حزنهم على حسين الحلاج، وقام في بغداد الذكر والضجيج حتى خيل لأهل بغداد أن الأرض قد خسفت بهم، فقام الشيخ الجنيد، وقال: يا ولدي يا حسين. . ألك حاجة قبل فراق الدنيا أفوز بقضائها؟.

قال: نعم، أريد أن تحضر لي أختي (الخوته؟)[1] حتى أوصيها بوصية من بعدي.

قال: فذهب إلى أخته، وأتى بها، فحضرت، وهي مكشوفة الوجه.

فقال لها حسين: أما (تخبي)[2] وجهك يا أختي من الرجال. . !.

قالت له: يا أخي. . وأين الرجال. . لو كانوا رجالاً ما أنكروا حال الرجال[3].

فقال لها: يا أختي، بهذا قدر الله تعالى، نفذت فيَّ دعوة شيخي الجنيد، وأريد أن أوصيك يا أختي بوصية: إذا رأيتهم قد حرقوني، فخذي من رمادي شيئاً واحتفظي (عليه)، بعد ثلاثة أيام يفيض الفرات على بغداد حتى تكاد تغرق، فيأتون إليك متضرعين بين يديك، فخذي الرماد الذي عندك، وارميه في الماء، وقولي له: ارجع يا مبارك من حيث جيت، فإن أخي قد حالل من (أسا عليه) لأجل شيخه الجنيد، ولأجل عين، تكرم ألف عين.

فلما سمعت أخته هذا الكلام بكت بكاء شديداً، وأنشدت تقول شعراً:

يا عينُ ابكِي على (خيّي) و (الْتجِي؟) على (سَعِيفي) وأيضاً قطعةِ (الكبدِي)

---

(١) لم يرد وصف للأخت في النسختين (م) و (ت).

(٢) : ويمكن أن تكون «تحجبي»، وفي (م): «استري (وجهكي) عن الرجال» وفي (ت): «أما (تستحي) من هؤلاء الرجال و (تغطي) وجهك».

(٣) في (م) يقول لها بعد هذا الجواب: «(تبيحي) بسر (المخلق)» فتجيبه: «أنت بحت بسر الخالق».
فيقول لها: «قدرة الله، ونفذت فيّ دعوة شيخي الجنيد. . .».

كنّا جميعاً شبهَ روحينِ في جسدٍ لا نفترقُ أبداً من سايرِ (الحشدِ؟)
ففرّقَ الدَّهرُ شملاً كانَ يجمعُنا وخلّفَ الحزنَ والأشجانَ في كبدِي
فلَمْ أزلْ باكيةً ما دمتُ باقيةً وكيفَ (يَنعى ذراعاً مالَهُ؟) عضدِي
أقولُ عَسى عطفةٌ يمنُن عليَّ بِها ربِّي، ويجمعُنا في جنَّةِ الخلدِ[1]

قال الراوي: فلما فرغت أخت حسين من شعرها، بكى أخوها بكاء شديداً، وأنشد يقول شعراً:

غفلتُ وحادِي الموتِ في أثرِي يجدُّ فإنْ لم أمتْ يوماً فلا بدَّ ما أغدُو
أنعِّمْ جسمِي بالثّيابِ ولِينِها وليسَ لِجسمِي من ثيابِ (البِلى)[2] بُدُّ

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره بكت أخته بكاء شديداً، وأنشدت تقول:

أقولُ وقد أسبلتُ في اللّيلِ عبرتِي على صحنِ خدِّي من فراقِ أحبَّتِي
أحبابَنا أَنْتُم نسيتُمْ عهودَنا فصبرِي على بعدِ الدّيارِ ووَحدتِي
أَرى كلَّ مَنْ أشكُو إِليهِ مِنَ الهَوى «يعالجُ أشواقِي ويشكُو كَشَكْوَتِي»[3]
لأنِّيَ غريبٌ في البلادِ موجَّعٌ أُقاسِي أَليمَ البُعدِ في كلِّ (بَلدتِي)

قال الراوي بإسناده: فلما فرغت أخت حسين من شعرها بكت بكاء شديداً، وودّعت (أخيها) وباسته، واعتنقته، فأغمي عليهما، وقد (سقطوا) إلى الأرض، فظنت الناس أنهم قد (ماتوا)، فعند ذلك تباكت

---

(١) لم يذكر للأخت شعر في (م). وفي (ت) ذكرت هذه الأبيات:

أحبابنا أنتم نسيتم عهودنا فصبراً بعد الديار و (وحدتي)
أرى كل من أشكو إليه من الهوى يعالج أشواقي ويشكو كشكوتي
لأني غريبة في البلاد موجعة وحيدة أقاسي الوجد في كل (بلدتي)

(٢) وردت «البلاء»، وأثبتناها «البلى» لأنها وردت من قبل هكذا فالبيتان وردا في قصيدة مطولة نسبياً في ما قبل.
ووردت الكلمة في (ت) «البلى»، وتتابع (ت) ذكر أربعة أبيات أخرى مما ورد من قبل، مع فروق طفيفة وفي (م) لم يرد شيء في هذا الموضع.

(٣) هذا الشطر من (ت)، ولا وجود لشطر ثان في (ظ).

المشايخ والفقرا وأهل بغداد، وزاد بهم الوجد والهيام، فلما (أفاقوا) من (غشوتهم) قامت أخت حسين، وقد أعلت بالبكا والنحيب، وأنشدت تقول شعراً:

بكتْ عَيْنِي على تَغَيُّرِ حالِي ... وصرفِ الدّهرِ في تلكِ اللّيالِي

وطُولِ الحزنِ بعدَ حبيبِ قلبِي ... وحزنِي زايدٌ كيفَ احتيالِي

ومَنْ أرجُوهُ يا أخِي (يكنْ) لِي ... إذا بَقِيَت النّساءُ بلا رِجالِ

أخي لَمْ (أزالْ) الدّهرَ أبكِي ... وقلبِي موجَعٌ مِنْ سوءِ حالِي

أخي كيفَ أصْبِرُ عنكَ وأسلُو ... وتَهْنا عيشتِي في (ذا) اللّيالِي

ألا يا ناسُ (ما تَرْثُو) لِحالِي ... وحزنِي زايدٌ كيفَ احتيالِي

أخِي لا تكنْ تَنْسىٰ عهودِي ... ولا (تَنْسىٰ) المودَّةَ والمَقالِ(١)

---

(١) في (ت) بعد مجيء الأخت، وقوله لها: «. . . يا أختي هذا حكم الله تعالى، ولا مفر منه قضاء الله وقدره، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، وأنا أحببت لقاء الله، وأن أموت شهيداً، وكنت بقوة الله أصيح بهم صيحة فلا أبقي لهم أثراً، لكن أردت أن أموت شهيداً كما مات عثمان بن عفان [وردت: (عفاف)] رضي الله عنه» ترد هذه الأبيات:

«الخمر دني ودن الخمر ريحاني ... ومجلس الذكر تسبيحي وقرآني
ما يشرب الخمر إلا من (يكن) بطلاً ... يطلق النوم، لم تغمض له (أجفاني)
وابن الرفاعي رفع قدره بها ... وعلي، وابن أدهم (سيّب) ملكه الفاني
وأما الجنيد تجود ثابتاً بطلاً ... وابن بركات صار الكل إخواني
لما تجلت على الحلاج هام بها ... أفتوا عليه وهم (سبعين) ديواني
أفتوا عليه، وقالوا قد كفر وطغى ... حاشاه من الكفر إلا كان رباني
من خاض بحر الهوى يظهر جواهره ... وإلا ينادي عليه اليوم (غرقاني)
أنا الهزبر، أنا الحلاج، يا فقرا ... (فتبت سل أنهم؟) من عظم سلطاني
والله والله والإيمان يا فقرا ... لولا (يقولوا) دعا الحلاج (إخواني)
لأصيح فيهم كما صاح الفتى البدوي ... وأهد بغداد (لم خلي لها اركاني)
لكن سمعت رجال الله قائلة ... مت شهيداً كما مات ابن عفان
أنا مكتف وسيف الشرع يلفحني ... سبعين ضربة، بإذن الله ما أذاني
والخضر الأخضر مودّب لا يكلّمني ... (والأربعين يقولوا هكذا كاني) =

قال الراوي: فعند ذلك نادى المنادي، وهو (المنادي؟) في مدينة

= فقلت سياف، قال السيف (موشنع؟) فقلت خذني، وفيض اللطف (يكفاني)
وهذه قصة الحلاج يا فقرا وأحرقوه، و (كانوا) الكل عميان»

ويذكر الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه «الحلاج موضوعاً للآداب. .» أن هذه القصيدة للشيخ عبيد الحرفوش، أبي عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي المعروف أيضاً بالحريفيش المكي ت (٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ م).

ويقول د. الشيبي في ترجمته: «صوفي من قلندرية مصر الذين عرفوا بالحرافيش، وهم أشبه بهيبية هذا العصر، كان واعظاً مشهوراً بالخير، جاور مكة أكثر من ثلاثين سنة، وكان ممن يشار إليه بالصلاح فيها. كان يتنبأ بالحوادث قبل وقوعها على عادة القلندرية، وكانت تبدو منه كلمات فاحشة على طريقة الحرافيش بمصر تؤدي إلى زندقة.

وكان للناس فيه اعتقاد زائد.

له كتاب «الروض الفائق في المواعظ والرقائق» المطبوع في مصر سنة ١٣١٦، ولم ينص من اسمه على صفحة العنوان بغير (الشيخ الحريفيش) ولهذا نسبه إسماعيل باشا البغدادي إلى الشيخ شعيب بن عبد العزيز بن يوسف العمراوي المغربي أبي مدين المعروف بحريفيش ت ٥٩٧ هـ، فخلط بينه وبين أبي مدين الصوفي المشهور، وأستاذ ابن عربي الشيخ الأكبر، وسماه سركيس في كتابه (معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٧٥١) كذلك، وأرخ وفاته بسنة ٨٠٦ هـ هنا دون بينة، وأشار في الهامش إلى كتاب شذرات الذهب لابن العماد مصدراً لمعلوماته، والحال أن الأخير نص على تفصيلات اسمه على الصورة التي أثبتناها» ص ١٥٦.

وبشأن: «الخمر دني. .» (القصيدة): انظر: «الحلاج موضوعاً للآداب. . .» ص ١٦٠ ـ ١٦٤.

ومن الشعر الذي أنشده في هذا الموقف في (ت):

سقاني من أهواه كأساً من الصرف فباح بها من سكرتي سري الخفي
ولما صفا وقتي وراقت مدامتي وغنت الأكوان والكأس في كفي
تجلى لنا ساقي المدامة جهرة ورَوْقها قد راق من رقة (الوكفي)
ألا يا ندامى يا حضرة الحق عربدوا ومن كان ذا سر فللسر لا يخفي
فموسى أتى للطور يقتبس جذوة رآها على بعد فآنس بالطرف
فقال له الرحمن جل جلاله أنا الله يا موسى، أنا الظاهر المخفي
وللمصطفى كرم المحبين أنبتت قديماً، وذاك الخمر من ذلك القطف
لها عربد الحلاج مع بشر ومع سري ومعروف (ذي) المعروف تذكاره يشفي
و (ذا) النون والشبلي ورابعة الصفا وشيبان والبهلول في أول الصف
وخواص مع إبراهيم بن أدهم يسيحون في الفردوس من داخل (السجفي)
ولاحت لعبد القادر الكأس جهرة على سره العالي وشاهد بالطرف =

بغداد: يا أهل بغداد، كل من أراد أن يتفرج على قتلة حسين الحلاج فليحضر. يا أمة محمد العَجَل..!.

قال: فما استتم المنادي كلامه حتى حضرت أهل بغداد، ولم يبق في مدينة بغداد كبير ولا صغير، ولا بنت، ولا امرأة، ولا شيخ، ولا رجل، حتى حضروا، وقد خلت بغداد من أهلها، وازدحمت الخلق على بعضها بعضاً، حتى بقي على القدم (اثنين وسبعين) قدماً[1].

فقام الجلاد، وأضرم النار حتى وصل (شررها)[2] إلى عنان السماء، فقام الجلاد، وقدم حسين الحلاج، وهو صامت، ولسانه لم يغفل عن ذكر الله. فقال له: مدّ يدك اليمين. فمدها، (فتكا) عليها فقطعها وألقاها قدامه، فلما وقع الكف على الأرض كتب بالدم: الله... الله.. حتى كتب (أربعة) وثمانين جلالة، بعدد الشهود الذين شهدوا عليه[3].

= ولما تجلت للصمادي جهرة سقيْ السكارى الراهبين من (الصرفي)
وهبت على قبر الحريري نسمة تجلت له الأنوار من داخل الكهف
فهذي صفات القوم إن كنت عارفاً ألا لسان الحال يغني عن الكشف»

وقد وردت هذه القصيدة في كتاب «الحلاج موضوعاً للآداب...» تحت عنوان «أشعار قديمة لا يعرف قائلها» ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(١) لم يرد شيء عن الاجتماع في (م). وفي (ت): «(سبعين قدم)»، وجاء في (ت): «ومات من شدّة الازدحام خلق كثير».

(٢) وردت: «(شارها؟)».

(٣) جاء في (م): «والدم يكتب على الأرض: الله... الله (ثمنون) موضعاً»، وفي (ت) عبارة (ظ) ذاتها.

وورد من مشاهد القتل في «أخبار الحلاج»: «قال أحمد بن فاتك، لما قطعت يدا الحلاج ورجلاه. قال: إلهي، أصبحت في دار الرغائب، أنظر إلى العجائب. إلهي، إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك» ص ٤٢.

«وعن أبي الحسن الحلواني قال: حضرت الحلاج يوم وقعته، فأتي به مسلسلاً مقيداً، وهو يتبختر في قيده، وهو يضحك ويقول:

نديمي غير منسوبٍ إلى شيء من الحيف
دعاني ثم حياني كفعل الضيف بالضيف =

ثم قال الجلاد: مدّ يدك الشمال. فمدها، فقطعها، ثم قال: مد رجلك اليمين. فمدها، فقطعها، ثم قال: مدُّ رجلك اليسار. فمدها، فقطعها ونصب الجلاد الحبال على الخشب حتى يصلبه[1]، فمر عليه الشيخ الشبلي، فناداه: يا حسين.. المحبة أولها حرق، وأوسطها غرق، وآخرها قتل.

فأنشد حسين يقول:

مَنْ مثلِيَ اليومَ في العُشَّاقِ يا شبلِي — وخالقِي قالَ لِي: عاشقِي شبلِي

كَمْ عاشقٍ في الهَوى ذابَتْ مرارَتُهُ — في حبِّ مَنْ خلقَ الأرضينَ و(الجبلِي)

= فلما دارت الكأس — دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراحَ — مع التنين في الصيف» ص ٣٤ ـ ٣٥

«وقال الحلواني: قدم الحلاج للقتل وهو يضحك، فقلت: يا سيدي ما هذا الحال؟. قال: دلال الجمال، الجالب إليه أهل الوصال» ص ١٢٣.

وانظر أيضاً في «أخبار الحلاج»: ص ٧ ـ ٨، ص ١١ ـ ١٢، ص ٣٦، ص ٤٤ ـ ٤٥.

(١) ورد ذكر الصلب في النسخ الثلاث، كما ورد في المصادر التاريخية، ومنها «أخبار الحلاج» انظر على سبيل المثال ص ٣٦. ولكن الدكتور كامل مصطفى الشيبي يذكر في «الحلاج موضوعاً للآداب...» «أن الحلاج لم يقتل مصلوباً على ما توهم كثير من الناس، وخصوصاً المحدثين، بل جلد، وقطعت أطرافه واحداً بعد الآخر، ثم حزَّ رأسه، وأحرق جسده، وألقي رماده في دجلة، وحمل رأسه بعد عرضه للناس ثلاثة أيام إلى خراسان ليشاهده الناس هناك أما صلبه حياً لأول القبض عليه، فلم يقع فيه ما وقع بعد المحاكمة، وإنما شهر هو وغلام له ليشاهده الناس، ويفتضح أمام أعينهم» ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

وفي (ت): بعد إحضار آلات العذاب، وبعد أن تفك عنه الأغلال، يصلي ركعتين، ثم يقول: «صبر جميل وبالله المستعان» ثم ينشد هذه الأبيات:

«بأي لسان للعواذل لاموا — وقد سهرت عيني عليك وناموا

أهيم بمحبوبي ولا يعرفونه — ولو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا

سلامي على قوم جفوا لذة الكرى — وباتوا على باب الكريم (قيام)

.... — ركوعاً سجوداً والدموع سجام

إذا كان من أهواه ليس ينام — فما أنت إلا يا جمام حَمام

فلو جزت بالوادي رأيت خيامهم — وعاينت سوق العشق كيف يقام

على عذبات الأبرقين خيامهم — عليهم مني ما حييت سلام»

والشَّيبُ شافعٌ لِمَنْ يَهوى لِخالِقِهِ   في موقِفِ الحشرِ (يَخفى غايَةَ؟) الأَمَلِ
إِنْ يَسْتَحِلّوا لِقتلِي في محبَّتِهِم   فقتلُهُمْ في الهوَى قَدْ حلَّ مِنْ قبلِي (*)

(*) حول الشبلي في مشهد القتل يقول صاحب «الحلاج موضوعاً للآداب. .» إن هناك لوحة بريشة أحمد حافظ الشيرازي، القرن العاشر الهجري تمثل صلب الحلاج «وامرأة تشق عليه جيبها حزناً وهلعاً، ولعلها ترمز إلى ابنته التي كانت معه في سجنه، أو أخته التي جاء ذكرها في الأخبار، أو زوجته التي لم يتطرق إليها أحد بالمرة. وتحت هذا المشهد يبدو رجلان ـ يبدو أنهما صديقان ـ يظهر ثانيهما، وكأنه يهم بقطف وردة ليرمي بها الحلاج، ويبدو أنه الشبلي المقصود بالمنظر كله» ص ١٠٥.
وجاء في «أخبار الحلاج».
«عن إبراهيم بن فاتك قال: لما أتي بالحسين بن منصور ليصلب، رأى الخشبة والمسامير فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه، ثم التفت إلى القوم فرأى الشبلي فيما بينهم، فقال له: يا أبا بكر هل معك سجادتك؟
فقال: بلى يا شيخ.
قال: افرشها لي.
ففرشها، فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين، وكنت قريباً منه، فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب، وقوله تعالى ﴿**لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع**﴾الآية، وقرأ في الثانية فاتحة الكتاب، وقوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾الآية. فلمّا سلّم عنها ذكر أشياء لم أحفظها، وكان مما حفظته: اللهم إنك المتجلي من كل جهة، المتخلّي عن كل جهة. بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك، وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي. فإن قيامي بحقك ناسوتية، وقيامك بحقي لاهوتية. وكما أن ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة إياها، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماسة لها. وبحق قدمك على حدثي، وحق حدثي تحت ملابس قدمك، أن ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمت بها علي حيث غيبت أغياري عما كشفت لي من مطالع وجهك، وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصباً لدينك، وتقرباً إليك. فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت. فلك الحمد فيما تفعل، ولك الحمد فيما تريد. ثم سكت وناجى سراً. فتقدم أبو الحارث السياف، فلطمه لطمة هشم أنفه وسال الدم على شيبه، فصاح الشبلي، ومزق ثوبه، وغشي على أبي الحسين الواسطي، وعلى جماعة من الفقراء المشهورين، وكادت الفتنة تهيج ففعل أصحاب الحرس ما فعلوا» ص ٧ ـ ٨.
=

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، مرَّ عليه الجنيد، وهو طاير بين السماء والأرض، فبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول[1]:

= «وعن أبي بكر الشبلي قال: قصدت الحلاج وقد قطعت يداه ورجلاه، وصلب على جذع، فقلت له: ما التصوف؟.

فقال: أهون مرقاة منه ما ترى.

فقلت له: ما أعلاه؟.

فقال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غداً، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك.

فلما كان وقت العشاء جاء الإذن من الخليفة أن تضرب رقبته فقال الحرس: قد أمسينا، نؤخر إلى الغد.

فلما كان الغد، أنزل من الجذع، وقدم لتضرب عنقه، فقال بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له.

ثم قرأ: **﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾**الآية.

وقيل هذا آخر شيء سمع منه.

ثم ضربت عنقه، ولفّ في بارية، وصبّ عليه النفط، وأحرق، وحمل رماده على رأس منارة لتنسفه الريح» ص ٣٦.

(١) ورد الموقف في (م) على هذا النحو:

«... فجلست أخته على البرج تبكي، ثم لبس الشيخ، وجميع الفقراء (لابسين) الثياب الزرق، فلما نظر إليهم أنشد يقول:

لاحت على جنبات الحي أسرار	وأشرقت من وجوه القوم أنوار
وطاف بالقوم (ساقي) لا شبيه له	بين العقيق، ولاحت بالحمى نار
وزمزمت نغمة الأوتار منشدة	هذا العقيق، وهذا الحي والدار
فاستيقظوا يا سكارى عند رقدتكم	واستغنموا الوقت إن الوقت غدار
من بات في شربها الحلاج (مكتئباً؟)	بين الرجال وإن (بخمار؟)
من باح بالسر كان القتل سيمته	بين الرجال، ولا يؤخذ له (تار)

قال: فعند ذلك قطعوا يده اليمنى، فضحك...».

وفي (ت): «فلما رأى شيخه (حسين) وهو يبتسم ويضحك (فبكى) شيخه، وأنشأ يقول:

لاحت لنا من قريب الحي أسرار	وأشرقت من وجوه القوم أنوار
وطاف بالقوم ساق لا شبيه له	فرداً قديماً، ولاحت في الحمى نار
وزمزمت نغمة الراووق منشدة	هذا العقيق، وهذا الربع والدار =

لاحتْ مِنْ قريبِ الحيِّ أسرارُ وأشرقتْ مِنْ وجوهِ القومِ أنوارُ
وطافَ على القومِ ساقٍ لا شبيهَ لهُ فردٌ قديمٌ ولاحتْ بِالحمى نارُ
فاستيقظُوا يا سُكارى عِنْدَ رقدتِكُمْ واستغنِمُوا الوقتَ إنَّ الوقتَ غدّارُ
مَنْ باحَ بِالسِّرِّ كانَ القتلُ شِيمتُهُ بَيْنَ الرِّجالِ، ولا يُؤخَذْ لهُ ثارُ

قال الراوي: فلما فرغ شيخه[1]، بكى بكاء شديداً، والتفت إلى حسين، فرآه يبتسم، وهو صامت لم يتكلم، ولم يتألم، فقام شيخه، وعانقه[2]، وباسه، وودعه، وقال له: يا حسين لا تنسَ العهد والصحبة والتربية بيني وبينك يوم القيامة.

فقال له: السمع والطاعة لله، ولك يا شيخي، وأنشد يقول: [3]

قفُوا وَدِّعونا نظرةً واغنمُوا الأجرَ فِراقُكُم منّا المدامِعَ قَدْ أَجْرى

= من باح بالسر كان القتل (شيمته) بين الرجال ولا يؤخذ له ثار
فلما فرغ الجنيد من شعره، قام الجلاد ورمى الحبال على الخشب، فقام شيخه وعانقه، وقبله و (بكوا) بكاء شديداً، وصار بينهما ساعة عظيمة، حتى أغمي علي الجنيد، وغاب عن الدنيا، فلما رأت الأولياء ذلك تصارخت، وأرادوا أن يخربوا بغداد، فقام الجنيد من غيبوبته، وقال كفوا يا فقراء، فإن (حسين) سامح، والسماح رباح، فلما سمعوا من الجنيد هديت خواطرهم، وكان مشهد عظيم، وساعة يشيب لها الطفل، فلما سكنوا قام الجلاد، وقال لهم: يا ناس.. ارجموه.
فقاموا، وصاروا يرجمون حسيناً بالأحجار، وهو يضحك ويقول: طيب طيب...».
وبالنسبة للأبيات «لاحت على جنبات الحي أسرار» أو «لاحت لنا من قريب الحي أسرار» فقد أوردها الشيبي في «الحلاج موضوعاً للآداب...» تحت عنوان: «أشعار قديمة لا يعرف قائلها»، ومطلعها:
لاحت على دكة الخمار أسرار وأشرقت من وجوه القوم أنوار
ويذكر الشيبي أن هذه الأبيات وردت في «قصة حسين الحلاج وما جرى له حين ثار به الوجد» وفي «قصة حسين الحلاج وما جرى له مع علماء بغداد». انظر ص ١٨٧ - ١٨٨.

(١) جاء: «فرغ حسين». وكتب فوق كلمة «حسين» كلمة «شيخ» ووصلت بها الضمير «ـه» هكذا «شيخ ـه».
(٢) وردت «(عنقه)».
(٣) القصيدة غير موجودة في (م) و (ت).

وقَدْ كنتُ قبلَ اليومِ أكتُمَ سِرَّكُمْ ... فلمّا جرى دمعي تهتّكَ (السّتْرا)
وكانَ معي عقلِي وسمعِي وناظرِي ... وفي اليومِ لا عقلاً ملكتُ ولا صَبْرا
سلُوا حاديَ (الأضعانِ) يرفقْ بِسيرِكُمْ ... فأرواحُنا ما بَيْنَ (أضعانِكُمْ نَسْرا)
تَركْتُم ربوعَ العِزِّ مِنْ بَعْد أُنْسِها ... خَراباً ووَحشاً وهي مظلمة قَفْرا
سألتُ ديارَ الحيِّ أينَ أحبّتِي ... عهدناهُم في النّايباتِ لنا ذُخْرا
وأينَ وجوهٌ كانَ نورُ جمالِها ... إذا ما تبدّى يخجلُ الشّمسَ والبدْرَا
أجابَ لسانُ الحالِ عنهُم قَدْ مَضَوْا ... (فنادِيهم وابكِي) لِمقلتِكَ (الصَّبْرا؟)
فيا ليتَ شعرِي هَلْ (يجينِي) مبشّرٌ ... وقُلْ لِفؤادِي يا فؤادِي لَكَ البُشْرى
وأَنْذِرُ روحِي في لِقاءِ أحبّتِي ... وأَسْجُدُ لِربّي حينَ ألقاهُمُ شُكْرا

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره بكى بكاء شديداً، وبكى شيخه، وأنشد يقول شعراً[1]:

رَحلُوا وفي قلبِ المتيّمِ خيَّمُوا ... فأنا الحزينُ لِفَقْدِهِم والمُغْرَمُ
ما كانَ أحلى في العيونِ جمالَكم ... وألذَّ في سمعِي حديثاً عَنْكُمُ
ضاقَتْ بِيَ الدّنيا لِغَيبةِ حُسْنِكُمْ ... لا أَوْحَشَ اللّهُ المنازلَ منكُمُ
يا بَيْنُ قَدْ شتَّتَ شملِي بعدَهُم ... وأصابَ قلبِي من سهامِك أسهمُ
وأذقتنِي التّفريقَ منهُم لوعةً ... كادتْ لَهُ روحِي تذوبُ وتقدمُ
قَدْ غابَ أقمارُ الحِمى تحتَ الثّرى ... فالجَوُّ بَعْدَ جمالِهم قد (أَقْتَمُ)
ولَقَدْ عَزَمْتُ على التَّصبُّرِ سيِّدِي ... فَوَجَدْتُ قلبِي قد ترحَّلَ مَعْكُمُ

قال الراوي بإسناده: فلما فرغ حسين من شعره، تركه شيخه، وسار وفي قلبه لهيب النار، لأنه ربّاه مثل ولده، وأعز، فقام الجلاد (ورمى)[2] الحبال على الخشب، وقال لهم: اسحبوه. فسحبوه حتى صار فوق الخشب، ففرّ الخلق من تحته مثل الجراد المنتشر، فدار وجهه إلى القبلة، وزعق، وقال: يا أهل بغداد، ويا حاضرين،

---

(١) القصيدة غير موجودة في (م) و (ت).
(٢) وردت «(وارمي؟)».

الفاتحة، في صحايفكم، وفي صحايف من أحسن (أو)[١] من (أسا) علينا. فلما سمع الناس منه هذا الكلام ماجوا كما يموج البحر الزاخر، وزاد بهم البكاء والنواح، وزعقت الفقرا، و (ثورت) المشايخ وتصارخت الرجال، و (ثار) الغبار، وصار الليل كالنهار، والنهار كالليل، وخيل للناس أن السماء وقعت على الأرض، وكادت الفتنة أن تقع بينهم، فقال لهم حسين: يا مشايخ، ويا فقرا، لا تعجزوا أرواحكم، فإني قد حاللت كل من (أسا) علي لأجل شيخي الجنيد. فلما فرغ حسين من كلامه، قال لهم الجلاد: ارجموه. فرجموه بالحجارة، وهو يضحك رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ويقول: طيب.. طيب.. في رضا الحبيب، ما أحسن المحبوب، ومشاهدة الحبيب.

فرجمه شيخه الجنيد بوردة حمرا، فقال حسين: آه يا شيخي، آلمتني، وقتلتني. وبكى منها بكاء شديداً.

فقال له شيخه: يا حسين، الناس قد رجموك بكل حجر كبير فما تألمت، وأنا رجمتك بوردة فتألمت منها، وبكيت، فما سبب ذلك؟.

فقال له: يا شيخي أما علمت أن جفا (الحبيب على المحب)[٢] شديد. فودعه شيخه، وذهب، ولم تزل أناس ترجمه، حتى مات رضي الله تعالى عنه، ورحمه رحمة واسعة، ثم بعد ذلك (أنزلوه)[٣] من على الخشب، وأضرموا له النار، وحرقوه، وانصرفوا، والله أعلم[٤].

---

(١) وردت «(وا)».

(٢) هذه العبارة من (م)، وجاءت في (ظ): «المحب على المحبوب» وفي (ت): «أما علمت أن جفاء الحبيب شديد».

(٣) وردت: «(نزوله)».

(٤) وتنتهي (ظ) بعد ذلك بعبارة «هذا ما (انتهى) [وردت (ننهي)] إليه علمنا من قصته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.
كتبها أضعف خلق الله، الفقير إلى ربه القوي القدير، أحمد الظاهري.
غفر الله له وللمسلمين» وهنا تنتهي (ظ)، ولكن جاء على هامشها في الورقة الأخيرة: «فلما أحرقوه، أخذت أخته من الرماد، وطلعت إلى البرج، وكانت ليلة الجمعة، فوقفت تصلي وردها، وإذا بالماء قد طلع حتى ساوى (شراريف) القصور. فقالت له: ارجع بإذن الله، فإن (حسين) قد حالل من سبه وشتمه، وضربه، ورجمه، وأحرقه، =

فلما حرقوه أخذت أخته من رماده، وطلعت إلى البرج كما أوصاها، وكانت الليلة جمعة، فوقفت تصلي و (تقري) وردها، فإذا بالماء قد طلع حتى ساوى (شراريف) القصور، فقالت: أيها الماء، ارجع بإذن الله عز وجل، فإن أخي (حسين) الحلاج قد حالل كل من ضربة، أو صلبه أو رجمه، أو حرقه، وهو يسلم عليك، ويقول لك: لا تغرق أهل بغداد، فإن شيخه الجنيد فيها.

ثم رمت بالرماد في الماء، فهبط الماء إلى مكانه بإذن الله عز وجل، ثم وضعت رأسها، ونامت، فرأت في النوم (أخوها) حسين

= وقتله، وهو يسلم عليك، ويقول لك: لا (تغرقي) [كذا بالتأنيث] أهل بغداد، فإن شيخه الجنيد فيها ثم رمت الرماد، فعاد الماء كما كان».

وجاء أيضاً على هامش الورقة الأخيرة، وبخط يعاكس خط النص: «ورأته أخته بالمنام، فقال: يا أختي، لا تبكي، ضاق صدري بسببك..

فقالت: كيف لا أبكي، وجرى ما جرى.!

فقال: لما قطعوني كان قلبي مشغوفاً بالمحبة، فلم أجد ألماً». أما النهاية في النسخة (ت)، فجاءت هكذا: «فأخذت أخته من رماده، فبعد ثلاثة أيام فاض الفرات على أهل بغداد، وعاينوا الموت، فجاؤوا إلى أخته، وتضرعوا لها، فأخذت الرماد، وذرته في الماء، ثم قالت له: ارجع من حيث أتيت، فإن أخي سامح من أساء إليه، وهذا تقدير العزيز العليم. فعند ذلك رجع الماء بقدرة الله إلى مكانه.

ثم إن أخت حسين بكت، وجعلت تقول:

حرقتم فؤادي بالفراق أحبتي ... وأسهرتمُ عيني، وزادت بليتي
حرام عليّ العيش حتى أراكم ... وأنظر هاتيك الوجوه بمقلتي
بريق الحمى إقرأ سلامي عليهم ... وبلغ تحياتي لأفضل إخوتي
فإن سألوا عن حالتي قل عبيدكم ... على حاله ما مال يوماً (بسلوتي)
أأحبابنا أنتم نسيتم عهودنا ... فيا ليت يوم البين كان منيتي

والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده..

تمت قصة حسين الحلاج على التمام والكمال في يوم الجمعة ٢٤ شوال الشريف سنة ١٣٥٧».

أمّا نهاية (م) فهي الأهم لذكرها الحلم بشكل مطولٍ نسبياً، وهي تبدأ من: «فلما حرقوه» في هذه الصفحة، وحتى «تركني وانصرف» في الصفحة التالية.

الحلاج، وهو كالقمر ليلة البدر، وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بدرّ وجوهر، وعليه أخضر، فقال: (إلى كم تبكي)؟ لقد ضاق بسببك صدري.

فقالت: يا أخي، وكيف لا أبكي، وقد جرى عليك ما جرى.

فقال: يا أختي لما قطعو[ني] كان قلبي (مشغوف) بالمحبة، فلم أجد ألماً، فلما خنقوني، نزلت ملائكة حسان الوجوه، (فطالعوني) إلى تحت العرش، و (قالوا) [وردت (قال)] هذا حسين المحب، فنادى (منادي): يا حسين.. رحم الله من عرف قدره، وكتم سرّه.

فقلت: يا مولاي، أردت التعجل إلى مشاهدتك.

فقال: انظر إلى جمالي أي وقت شئت، لا أحتجب عنك أبداً، ثم كشف (عن) الحجاب، فلما رأيت عرش الملك امتلأ قلبي فرحاً، وسروراً.

وأنشد، وجعل يقول (شعر):

وكانَ فؤادِي خالِياً قبلَ حبِّكُم ... وكانَ بِذكرِ الخلقِ يلهُو ويمرَحُ
فلمّا دعا قلبِي هواكَ أجابَهُ ... فلستُ أراهُ عنْ وصالِكَ يبرحُ
فإن شئتَ أَوْصِلْنِي، وإنْ شِئْتَ لا تصلْ ... فلستُ أرى قلبِي لغيرِك يصلحُ

ثم قال: يا أختي، أرأيت لو كان طائر في قفص، فإن أطلق الطاير يرعى في بساتين وأنهار، هل يضر الطائر كسر القفص.

قلت: لا.

قال: فذلك أنا، ثم تركني وانصرف(١).

---

(١) بعد ذلك تختم (م) على هذا النحو: «تمت حكاية الحلاج رحمة الله عليه، وعلى من كتبها وهو الفقير محمود، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين. آمين.
حرر في ١٢٥٩/١/٢٥».

الوعي الصوفي الشعبي

دراسة

الحبكة

تحتل السيرة الشعبية للحلاج ـ وهي المعروفة بـ(قصة حسين الحلاج) ـ موقعاً خاصاً في السير الشعبية المحلية كالزير سالم، وعنترة، وتغريبة بني هلال. . ـ وإن تكن أقل شهرة ـ وذلك لطبيعة البطل الصوفي، وما تستتبع من بنية خاصة للصراع وأطرافه، وللخير والشر والقيم المطروحة عامة.

يقوم بناء الحبكة في قصة الحلاج هذه على الرغبة بالمولود الذكر، هذه الرغبة المشهورة في وسطنا الشعبي، وغالباً ما ينشأ عنها النذر.

وعند الوفاء بالنذر تتهيأ المصادفة لعقدة القصة، وهي ابتلاع الحلاج للتميمة. وعلى هذا الحدث الكبير ذي الأبعاد الفائقة للمعقول تأتي الأحداث الأخرى مترابطة مشوقة: هل تسوء العلاقة بين الجنيد والحلاج إثر هذا الحدث؟ ولكن كيف يستاء الجنيد وقد حدث ما حدث دون علم من الحلاج أو قصد؟.

إذاً يصفح عنه؟.

ولكن كيف يصفح، وقد سلبه أمراً في غاية الخطورة؟ ما الذي سيطرأ على الحلاج إثر هذا الحدث المهول؟ تساؤلات مشوقة تصل بنا إلى شطحات الحلاج في الأسواق، هذه الشطحات التي تؤذي الناس وتدفع بهم للجوء إلى شيخه ثم إلى الخليفة.

والخليفة إذعاناً للناس، وفتاوى العلماء، ودفاعاً عن الشريعة يطالب بالحلاج.

والجنيد تسليماً بقضاء الله، وطاعة للخليفة، يقوم بتسليم الحلاج.

والحلاج إكراماً لشيخه يستسلم لقتلته.

وتكاد تنتهي القصة هنا، ولكن الخشبة التي تحمل سيرة صوفي لا تقتصر على الحياة الدنيا، فالتداخل بين العالمين بادٍ في مجمل أحداثها، فكان لا بد من إطلالة على الحلاج في العالم الآخر، وكان ذلك عبر الرؤيا.

وللرؤيا أهمية كبرى عند الصوفية فقد تأتي بمراسيم وصول، أو بإشارات قبول لراغب بسلوك الطريق، أو إلباس الخرقة، وغير ذلك.

ويمكن أن تنبىء الرؤيا عن حال وليّ بعد وفاته ـ كما حدث في قصتنا ـ وهذا يوجد بكثرة في المؤلفات الصوفية، ويصل الأمر إلى جعل أحداث الرؤيا تضاف إلى ترجمته الشخصية، فالحقيقة لا تقتصر على وقائع عالم اليقظة.

الصراع
ومفهوم الشر والبطولة

إن البناء الأساسي لأية حكاية إنما هو الصراع، وغالباً ما يتجلى هذا الصراع عبر تناقض المصالح بين طرفين يمثلان الخير والشر.

فإذا جربنا أن نفتّش عن عناصر للصراع في قصة الحلاج هذه فماذا نجد؟.

وجه الصراع الأول يتبدى في الحصول على السر الإلهي، أو التميمة (اسم الله الأعظم). إلا أن هذا الصراع يبقينا على تعاطف مع طرفيه، لأحقية الشيخ من جهة، وللنية الطيبة للمريد من جهة أخرى.

بعد هذا ينتقل الصراع إلى مستوى آخر، قطباه: الحلاج والناس. وهنا يتعمق، ويزداد حدة، ولكن دون ظهور قطب لتمثيل الشر، فعلى الرغم من تعاطفنا مع الحلاج يبقى الناس مدافعين عن شريعتهم، وليسوا وجهاً عدائياً، بل يدافعون عن العقل والمنطق أيضاً في وجه كلام كله (لحنٌ وتبديل).

إلا أننا على هذا المستوى من الصراع نستطيع أن نكتشف أن المحور الحامل له ليس أخلاقياً، بقدر ما هو معرفي فالناس تعادي لأنها تجهل، وهذه قيمة يريد النص ترسيخها، والوجه الأعم لها معاداة أي نظام معرفي للنظام المعرفي الآخر.

ومن هنا نشرف على الصراع الأول فنراه بين شيخ عارف ومريد ساذج، أي أن الصراع ليس بين الخير والشر.

ونشرف على الصراع الثاني، فنراه بين عارف رباني وبين عامة وفقهاء يتمسكون برسوم الشريعة.

وهنا أيضاً ليس الصراع بين الخير والشر.

في سيرتنا لا يوجد قطب شرير، الحلاج يرهق الناس بكلمات غريبة تبدو مخالفة للشريعة، والعلماء يكفرونه، والخليفة يأمر بقتله بناء على حكم قضائي من الشريعة، والجنيد يكبله بالقيود، والجلاد يقطع أطرافه، ويصلبه، ويقتله، ويحرق جثته، وقبل ذلك يرجمه الناس، ولكن ما من ثنائية للخير والشر، والسر في ذلك أن وحدة الوجود الصوفية لا ترى الشر في شيء، فلا وجود للشر، أو أن الشر في اللاشيء، فـ «الوجود... خير، والشر هو العدم»[١].

إن البطولة في هذه السيرة هي بطولة القدر، بطولة الخالق الذي يتحدى العدم، إنه صائغ هذه اللوحات المذهلة، وإذا كان القدر دائماً يحرك ثنائيات الصراع دون أن يمنح لقب البطولة، فإنه في مثل هذه السيرة ـ وهي نموذج للحكاية الصوفية ـ لا يبدو محركاً للثنائيات عن بعد، وكأنه غير موجود، كما أنه ليس بالقريب ليدخل إلى جانب طرف في الصراع كآلهة الأولمب. وبطولة الحلاج إنما هي الامتثال لهذا المفهوم البطولي القائم على تحدي العدم عبر تحدي التافة والعادي، وصياغة اللوحات المذهلة من خلال المواقف التراجيدية العظيمة.

---

(١) المعجم الصوفي ص ٢٠٨.

الواقع والخيال

في الملاحم والسير الشعبية عموماً، يكون من المغري التأمل في ما استعارته المخيلة الشعبية من الواقع، وما نسجته من بنات أفكارها.

فما هو الهيكل الواقعي التاريخي الذي نسجت السيرة حوله؟.

ولماذا قدم الخيال هذه الإضافات؟.

ولم اتجه هذه الوجهة، ولم يتجه وجهة أخرى؟.

أسئلة كثيرة من هذا النوع يمكن أن تثيرها سيرنا الشعبية، ولهذه الأسئلة إغراءاتها الخاصة في سيرة الحلاج.

تبدأ السيرة من الحمل بالحلاج، ولم تزودنا الكتب الرسمية بأخبار عن هذه المرحلة غير ولادته في البيضاء في موضع يقال له الطور من قرى فارس، ونشأته بتستر، وحفظه القرآن في الثانية عشرة، وتتلمذه بعد ذلك مدة سنتين على يد سهل التستري.

إن الحلاج ـ حسب السيرة الشعبية ـ لم يتعلم في طفولته صنعة من صنائع الدنيا، فقد كان أصحاب الصنائع يطردونه دائماً لأنه كان يفسد أكثر مما يصلح، ولا تخفى هذه الإشارة من السيرة، إلى احتقار الوعي الصوفي الشعبي لصنائع الدنيا، حتى إن الكتب الرسمية للصوفية تكرر دائماً، عند عدم صلاحية المريد للطريق، ضرورةَ إلزامه السوق ليتعلم صنعة يكسب بها عيشه، أي أنه لا يصلح لما هو أعلى من هذا المقام[1].

---

(١) قال أبو علي الروذباري: «إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع. فألزموه السوق، ومروه بالكسب» الرسالة القشيرية ص ٤٩.

أ ـ الأشخاص:

يقوم الخيال في السيرة بإجراء تحويرات على الواقع، فعلى صعيد الأشخاص يتم استبدال سهل التستري، وجعل الجنيد أول معلم للحلاج، ولا شك أن شهرة الجنيد هي أحد أسباب هذا التحوير.

والحلاج سلك الطريق الصوفي، ولبس الخرقة على يدي عمرو بن عثمان المكي، وليس على يدي الجنيد، والدعوة التي أضرّت به، إنما هي دعوة المكي، وليست دعوة الجنيد[1]. ولكن الحلاج عاصر الجنيد، وكان الجنيد كبير المتصوفة في عصره، والحلاج يجله، ويستشيره دائماً في الخلاف الذي جرى بين شيخه المكي، وحميه أبي يعقوب الأقطع، حيث كان المكي يهاجم الحلاج، ويشيع دعاويه العريضة، ويتهمه بالكفر، ويسعى إلى تطليق ابنة الأقطع منه، وموقف الجنيد لم يكن أفضل من موقف المكي فقد نسب الحلاج إلى الادعاء أيضاً. والخيال الشعبي إذ يقوم بإيجاز عدة شخصيات من الواقع بشخصية واحدة، فإنه يختار الشخصية الأكثر تحقيقاً لأغراض الدور المطلوب، وميزة التعقل والاتزان من أهم خصائص هذا الدور، والجنيد هو الأقدر على أدائه[2]. ومن التحوير على صعيد الأشخاص

---

(١) «وكان الأشياخ كلهم يقولون: جميع ما حل بالحلاج إنما كان من دعوة عمرو بن عثمان المكي عليه» الأنوار القدسية ج ١ ص ١٧٥. ومن طرائف أسباب بلائه ما جاء في «أخبار الحلاج»: «عن موسى بن أبي ذر البيضاوي قال: كنت أمشي خلف الحلاج في سكك البيضاء، فوقع ظل شخص من بعض السطوح عليه. فرفع الحلاج رأسه فوقع بصره على امرأة حسناء، فالتفت إلي وقال: سترى وبال هذا علي، ولو بعد حين. فلما كان يوم صلبه كنت بين القوم أبكي، فوقع بصره علي من رأس الخشبة فقال: يا موسى، من رفع رأسه كما رأيت، وأشرف إلى ما لا يحل له، أشرف على الخلق هكذا، وأشار إلى الخشبة» ص ٣٣ ـ ٣٤.

«قال أحمد بن فاتك: رأيت رب العزة في المنام كأني واقف بين يديه. فقلت: يا رب، ما فعل الحسين حتى استحق تلك البلية؟ فقال: إني كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت» ص ٨٧.

«قال إبراهيم بن شيبان: إياكم والدعوى، ومن أراد أن ينظر إلى ثمرات الدعوى فلينظر إلى الحلاج، وما جرى عليه» ص ١٠٥.

(٢) جاء في ترجمة الجنيد في دائرة المعارف الإسلامية: «وكان يفضل الصحو على حالة =

أيضاً، تلفت نظرنا شخصية ذكرت باسم (خالد) في النسختين (ظ) و (ت)، وخالد هذا جاء إلى الخليفة بفتاوى تقضي بتكفير الحلاج، وقتله. وما قام به خالد يجعله أشبه ما يكون بالوزير (حامد) الذي سعى جاهداً لإنزال عقوبة الإعدام بالحلاج، وذلك بجمع الشهود بالشهادات الملفقة، والتحايل أمام الخليفة المقتدر، ثم بِحَثِّ القاضي المالكي أبي عمر الحمادي على إصدار الحكم[1]، وكان عدد الشهود كما روت كتب التاريخ هو العدد ذاته الذي ذكرته السيرة[2].

ومن الطريف بشأن هذه الشخصية أنها ذُكرت في النسخة (م) باسم (حامد بن الوليد) ولا شك أن التصحيف يجعل الانتقال من (حامد) إلى (خالد) أمراً سهلاً. وحامد هو محصل خراج فاس، دخل وزارة ائتلافية سنيّة[3]، وسنيته قد تلعب دوراً في هذا التصحيف، فاسم (حامد بن الوليد) يشير بشكل لا يعوزه كثير نظر إلى اسم الصحابي الشهير (خالد بن الوليد) وهذا التشابه ليس تشابه التصحيف وحسب، فـ (حامد) هو (حامد بن عباس) وبين (عباس) و (الوليد) فرق واضح في اللفظ والرسم، إضافة إلى أنني لم أعثر على شخص عرف بابن الوليد في معرض السعي إلى إدانة الحلاج، وربما لعبت مسألة تأخر دخول خالد بن الوليد في الإسلام دوراً في جعل المخيلة الشعبية تستعير شخصيته ـ أو جزءاً منها ممتزجاً مع الشخصية الواقعية حامد بن

= السكر عند المتصوفة» المجلد السابع ـ مادة (جنيد). وقيل: «حضر الجنيد أبو القاسم موضعاً فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه، وهو مطرق، قيل له: يا أبا القاسم. ما نراك تتحرك.

قال: ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب**﴾» حلية الأولياء ـ المجلد العاشر ص ٢٧١.

وقيل: أتى الحلاج «إلى الجنيد، فسأله الجنيد: ما جاء بك إلينا؟

فقال الحلاج: جئت لصحبة الشيخ.

فقال الجنيد: أنا لا أصحب المجانين» الإمام الجنيد ص ٩٣.

(١) انظر «المنحى الشخصي لحياة الحلاج شهيد الصوفية في الإسلام» ص ٧٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٧٧.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٧٥.

عباس ـ لتلعب هذا الدور، وذلك بعد أن ساهم التصحيف بالانتقال من (حامد) إلى (خالد).

ويمكن الانتباه في معرض تحوير الشخصيات إلى شخصية الحلاج ذاتها، حيث تبدو شخصية شاب عازب عند محاكمته وصلبه، وقتله، في الوقت الذي كان فيه عمره (تاريخياً) خمسة وستين عاماً. ولا تخفى الرغبة هنا في محاكاة صلب المسيح.

ب ـ المكان:

اقتصرت السيرة من ناحية المكان على بغداد، ولم تتعرض لرحلات الحلاج الكثيرة والطويلة التي ذكرتها كتب التاريخ وقد وصلت إلى خراسان والهند والصين ومكة... وكأن السيرة من هذه الناحية تكتفي برصد فترة استقراره في بغداد بعد أن بلغ عقده الخامس.

وبغداد التي تقع على نهر دجلة توحي السيرة بموقعها على نهر الفرات، وذلك من خلال التذكير بفيضانه على بغداد في النسختين (ظ) و (ت). ولعل الأمر يعود إلى جهل المؤلف بهذه المعلومة الجغرافية ولكن لا بأس من إيراد هذه العبارة التي نبه بها الوزيرُ حامد الجلادَ بعد أن أوصاه أن يضرب الحلاج ألف سوط: «إن قال لك أجري لك الفرات ذهباً وفضة فلا تقبل منه، ولا ترفع الضرب عنه»[1].

وقد جاء الفرات هنا، مع أن دجلة أقرب، ولعل الشهرة هي سبب وروده في السيرة، فتكون السيرة قد جاءت بالفرات بدلاً من دجلة، بعد أن جاءت بالجنيد بدلاً من التستري أو المكي.

جـ ـ الزمان:

يجري زمان السيرة بإيقاع سريع، من الولادة إلى الموت ولا يعود ذلك لحجم السيرة الضئيل نسبياً وحسب ـ على سبيل المثال نرى السنة التي بدأت بطيران الحلاج خلف المنديل وارتياح الناس منه ليست أكثر

(١) الأصل الأول من (الأصول الأربعة) لماسينيون ـ نقلاً عن (أسطورة الحلاج) ص ١٤٥.

من لحظة ـ بل ربما يعود إلى خلخلة الكرامة لكل ما هو موضوعي، والزمان هو عنصر من هذا الكل.

أما من ناحية أثر الخيال في الزمان، فإن السيرة تشهد الجنيد مقتل الحلاج، مع أن الجنيد توفي قبل الحلاج باثني عشر عاماً، ولا يقتصر الأمر على رجوع الزمن إلى الخلف، بل يمتد إلى الأمام أيضاً، حيث يأتي في الأشعار الواردة في السيرة على لسان الحلاج ذكر عدد من المشايخ المتأخرين عنه كثيراً مثل (أبو الوفا = علي بن عقيل أبو الوفا البغدادي ت ٥١٣ هـ) و (عبد القادر = عبد القادر الكيلاني ت ٥٦١ هـ) و (ابن الرفاعي = أحمد الرفاعي ت ٥٧٨ هـ) و (البدوي = أحمد بن علي البدوي ت ٦٧٥ هـ)... وغيرهم، وهذه الأسماء بدلالاتها المختلفة، ومنها الزمانية تحتاج إلى تقصٍّ خاص.

ومما يتعلق بالزمان أيضاً تاريخ النسخ، فقد جاءت النسخة (ظ) غفلاً من التاريخ، أما النسخة (م) فجاء تاريخ نسخها في ٢٥/ ١/ ١٢٢٩ ـ ولا شك أن هذا التاريخ هجري ـ والنسخة (ت) طبعت في ١٣٥٧ هـ، وجاء فيها: نقلت عن نسخة خطية قديمة.

فإذا اعتمدنا تاريخ النسخة (م) ذهبنا بهواجسنا إلى بداية حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ م) وحياته (١٨٤٢ ـ ١٩١٨ م). وأما الأشعار المذكورة في السيرة، فأغلبها منسوب للحلاج، وهي تحمل دلالة زمانية في لهجتها العامية المتأخرة كثيراً عن عصر الحلاج، وهذه اللهجة يمكن تقصيها في جميع أنحاء النص.

المعرفة والسلطة

كنت قد حددت في دراستي التي قدمت بها لكتاب (الطواسين وبستان المعرفة) للحلاج، مصطلحين اثنين متجادلين هما: (النقد) و (الفعل)، حيث يشير الأول إلى تقصي الخلل المنطقي، وبناء النتائج على مقدماتها بهندسية صارمة، ويشير الثاني إلى العمل بموجب المنفعة، ومتطلبات الحياة، مع إغفال ما يتضمن ذلك من خلل منطقي[١].

وأعود الآن لاستخدام هذين المصطلحين لفهم العلاقة بين المعرفة والسلطة في هذا النص.

إن السلطة تقوم بتحويل التراث المعرفي إلى أيديولوجيا تسوغ وجودها، وتستخدم في هذا التحويل الديماغوجية والقوة، وهما من سلالة (الفعل).

وأمام هذه السلطة التي اتخذت من الدين الإسلامي أيديولوجيا تسوغ لها نهب قوت الشعب عبر الضرائب وغيرها، يمكن أن تقدم المعرفة غير المؤدلجة عقلانية الفلاسفة والمعتزلة، أو اجتهاد الفقهاء.

ولكن الجمهور لا يخاطب بهندسية المنطق، ودقة تشعبات العقل، إضافة إلى ما في ذلك من اصطلاحات غريبة على التراث المنقول، وهذا ييسر للديماغوجية التلاعب اللفظي، كما أن اللغة الغريبة على النقل تقدم بذاتها مسوغات نسفها بالقوة.

هذا إضافة إلى أزمة المنطق الداخلية التي تظهر عدم استيعابه

---

(١) انظر مقدمة (الطواسين وبستان المعرفة) ص ١٢.

للواقع، كالعجز عن استيعاب الحركة مثلاً، أو أزمة (الميتافيزيقا) حسب تصنيف أوغست كونت.

أما الاجتهاد فقد توقف، وساد تغليب النقل على العقل. والنقل ـ بالطبع ـ حمّال أوجه، وأمام التأويل لا يبقى منه غير الوجه المناسب لمصالح ذوي السلطان.

ولا يمكن فهم الحركة الصوفية في فترات كثيرة من تاريخها إلا من خلال إحساس أصحابها بتناقضات هذا الواقع، وخطورته.

حين يُدعى الحلاج لمناظرة العلماء أمام الخليفة ـ وقد دعي تاريخياً ـ فإن هذه الدعوة تبدو عادلة في مظهرها الخارجي، أما في حقيقتها فهي أشبه بإلقاء مصارع مكبل أمام خصمه ـ أو خصومه ـ.

فالأرضية التي تقوم عليها المناظرة ليست في مصلحة الحلاج، كما أن أخلاق الأثينيين ومعتقداتهم لم تكن في مصلحة سقراط عند محاكمته، مع أن الأجواء كانت تبدو ديمقراطية، وقد جاء الحكم بتصويت الأكثرية، وذلك لأن الأيديولوجيا قد حددت الحقيقة بشكل مسبق. إنها المعرفة التي تجسدت فعلاً وقوةً (سلطة)، أمام المعرفة التي ما تزال خطوطاً هندسية في الفراغ.

ويأتي امتياز الصوفية على العقلانيين بامتلاك (الفعل) ـ أو الحكم بامتلاكه ـ عبر الاتصال المباشر بالمطلق، وإنتاج النص الذي يكافىء النقل، ويظهر هذا الامتياز بالكرامة، وهي شقيقة المعجزة.

فحين يدعو الحلاج مناظريه أمام الخليفة للجلوس معه على الهاون المحمر على الجمر فإنه يشهر سلاح القوة والفعل، لأن الدعوة للمناظرة في أساسها كانت صراع قوة وسلطان وليست مناظرة معرفية.

وبعبارة أخرى، إن القوة هنا هي الشكل المعتمد للبرهان والإقناع.

وتبدو الكرامة التي تظهر الحلاج كبيراً يسد الآفاق، ثم صغيراً كالطفل تعبيراً رمزياً عن تأرجح الحلاج في العيون بين مقام الكفر،

ومقام الولاية[1]، وعندما يراه الناس بعين الولاية يلتفون حوله، وسواء رآه المكلفون بالقبض عليه ولياً، أو رأوا رؤية الناس له، والالتفاف الشعبي حوله، تشكلت أمامهم إعاقة في القبض عليه ثم التعبير عنها رمزياً بأنه قد أصبح كبيراً يصعب الإمساك به.

وإن اشتراك الولي، والولي في الجذر الاشتقاقي، يحمل مشاركة في الدلالة كثيراً ما نلمسها في الكتابات الصوفية، وهي كون الوليّ سلطاناً في الخفاء، ونكتفي لتجنب الإطالة بمثالين على ذلك من المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم: «إن الولاية دولة قائمة باطنة في مقابل دولة الظاهر.. وهذه الدولة يترأسها القطب أو الغوث»[2].

«في بدء عهد الخلافة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كان الخليفة الظاهر أي أمير المؤمنين، هو نفسه الخليفة الباطن أي القطب، ولكن بعد انقضاء عهد الخلفاء الراشدين ضعف الخليفة الباطن عن الظهور بصورة خلافته، فانقسمت الخلافة إلى باطنة وظاهرة. الباطنة: مرتبةُ ولايةٍ. والظاهرة: مرتبةٌ سياسيةٍ»[3].

---

(١) يؤكد خلاف الناس حوله قوله: «يا بني إن بعض الناس يشهدون علي بالكفر، وبعضهم يشهدون لي بالولاية...» (أخبار الحلاج) ص ١٤.
(٢) (المعجم الصوفي) ص ١٢٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٢١.

الحُلم

ما يزال المشروع الصوفي حلماً، وربما بقي كذلك إذا لم يتحقق الفردوس في هذا العالم.

وإذا كانت الصوفية تحقق نعيماً خاصاً، أو خلاصاً فردياً في هذه الدنيا، فإن هذا النعيم سيبقى حلماً أمام جميع الذين لم يَصِلوا.

والحديث عن الحلم هنا بمعنى تحقيق الرغبة، إلا أن هذا المعنى يتطابق مع الحلم بمعنى الرؤيا أو المنام، وهذا التطابق هو الأساس الذي تقوم عليه مدرسة التحليل النفسي في تفسير الأحلام.

فالحلم هو تحقيق رغبة، والحلم والرغبة متطابقان في كثير من لغات العالم، وقد أشار إلى ذلك فرويد في كتابه الهام (تفسير الأحلام)[1]. والتطابق في اللغة العربية يظهر في حمل لفظة الحلم دلالة الرغبة ودلالة الرؤيا أو المنام معاً. إن عالم الواقع عاجز عن تحقيق كل ما نرغب، ولا شك أننا نحلم بتحقيق العدالة، وإن من أهم مسوغات وجود العالم الآخر أو البعث في الثقافة الإسلامية تحقيق العدالة، لأن العالم الدنيوي ينسج حكايات غير مكتملة ـ على صعيد القص ـ تنتظر خاتمة تعيد إليها توازنها.

فالسيرة التي بين أيدينا عندما انتهت بمقتل الحلاج انتقل الوعي الشعبي مباشرة إلى نسج نهاية مناسبة في العالم الآخر ليسكن الصراع، ويعود كل عنصر إلى أصله.

---

(١) (تفسير الأحلام) لفرويد ص ١٤٩ ـ ١٥٨.

رموز وتحليل

اختتمت سيرة الحلاج بالحلم، كما بدأت بالحلم.

اختتمت بالحلم ـ الرؤيا حيث اطمأنت (المرأة ـ الأخت) إلى رؤية أخيها سعيداً في القرب.

وكانت البداية حلم (المرأة ـ الأم) بأن ترزق طفلاً، وبين هذا الحلم وذاك حلم ينسجه الوعي الشعبي على شكل حكاية مليئة بالرموز يودعها عقائده، وهواجسه، وأمنياته.

إن الماء رمز أنثوي غالباً، وهو الأم، ويمثل الخصب دائماً، والعودة إليه، هي عودة إلى الرحم، ونعيم ما قبل الولادة[1].

وهكذا كانت حكاية الحلاج من الماء إلى الماء من مياه الأم، إلى مياه النهر، وهذه الحركة الدائرية للأشياء (الانتهاء في نقطة البداية) هي تعبير عن أهم معتقد صوفي، وهو وحدة الوجود.

لقد بدأت الحكاية بامرأة حامل، والحمل إشارة ضمنية إلى وجود الأب، وعدم ذكر الأب صراحة ربما يعود إلى رغبة في محاكاة سيرة المسيح، هذه المحاكاة التي جاءت في عدد من الروايات التاريخية الرسمية إلى درجة القول بأن الحلاج لم يصلب، وإنما شبيهه[2]. إلا

---

(١) انظر (تفسير الأحلام) لبيير داكو ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩، و (الرموز في الفن والأديان والحياة) ص ٣٥٠ ـ ٣٦٠، والعنصر الأعظم في (المعجم الصوفي) ص ٨٢٦ وما يليها.

(٢) في كتاب (الحلاج موضوعاً للآداب والفنون. . .) نرى لوحة للحلاج يبدو فيها مصلوباً على مثال المسيح ص ٣٣٨ وهي مأخوذة عن ديوان الحلاج الفارسي المنسوب إليه، وهو مطبوع في بومبي ١٨٨٨ م. وقال ابن غانم المقدسي (ت ٦٧٨ هـ) واضعاً الحلاج موضع المسيح في التصور الإسلامي:

أن السيرة الشعبية لم تتوغل كثيراً في هذا المنحى، وإن جاءت الإشارة في حلم الأخت إلى أنه لم يعانِ من تقطيع أوصاله، لأن قلبه كان مشغوفاً بالمحبة، وأنه عندما خنقوه نزلت ملائكة حسان الوجوه، ورفعته إلى ما تحت العرش.

إنني أرى عدم ذكر الأب يأتي لحاجة أخرى، وهي أن المريد ينبغي أن يكون بلا أب، والمعنى (سلوكياً) أنه ينبغي ألا يكون متعلقاً بأبيه الطيني إلا إذا كان أبوه وشيخه شخصاً واحداً[1]، والحكاية تريد أن تجعل من الحلاج نموذجاً مثالياً في (السلوك).

والأب في البداية ـ طينياً أو إلهياً أو روحياً ـ تقابله النار في النهاية، فهي رمز للأب والإله، والنار والماء من أعظم الرموز الكلية، ولهما قدرات إنتاج الحياة وتدبيرها معاً[2]. ففي الجانب التدبيري نرى ثورة (النار = الأولياء) تنوي هدم بغداد، ونرى ثورة (الماء = الفرات) تفيض لإغراقها.

الجنيد الناري يمارس سلطته لتهدئة الأولياء، والأخت المائية تمارس سلطتها لإعادة المياه إلى مجرى النهر، وكل ذلك بتسامح الابن التمّوزي الذي يناصر ازدهار الحياة، ويقدم نفسه قرباناً[3].

= «هيهات ما قتلوه كلا، ولا صلبوه
لكنهم حين غابوا عن وجده شبهوه»
(الحلاج موضوعاً للآداب. . . .) ص ٤١.

(١) جاء في (الأنوار القدسية) للشعراني: «من كان له أبوان لا يفلح في الطريق لأنه يصير مذبذباً بين ما يريد هذا، وما يريد هذا، ثم إن أبا التربية لا يدعو الولد دائماً إلا إلى الآخرة، وأبوه الطيني الغالب أنه لا يدعو ولده إلا إلى الأمور الدنيوية. وكان سيدي أبو السعود الجارحي يقول لمن يريد صحبته: هل لك أب؟

فيقول: نعم.

فيقول: أين هو.

فيقول في البلاد مثلاً.

فيقول: اذهب إليه، أنا لا أصحب من له أب غيري» ج ٢ ص ٦٠.

(٢) (تفسير الأحلام) لداكو ص ٣٩٥.

(٣) انظر (مغامرة العقل الأولى) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٥ و ص ٣٠٣.

تأتي الأخت ثائرة، سافرة عن وجهها إلى ساحة الإعدام، والسفور الذي يأخذ معنى الإغراء الجنسي وإنتاج الحياة ينقلب في المعركة إلى معنى التحريض، وإثارة النخوة في نفوس الرجال من أجل مزيد من الفتك والتدمير. والأخت في مشهد الإعدام تقوم بالدور الثاني، إنه سفور يتحدى الرجال لتذكيرهم بأصلهم الذي يجري تزييفه بالقمع والتجهيل، وحين يطلب منها أخوها أن تستر وجهها أمام الرجال تقول: «أين الرجال. . لو كانوا رجالاً ما أنكروا حال الرجال».

وبهذه العبارة ندخل مستوى آخر للتحليل:

إن السيرة الشعبية هذه تُكتب نسخها، وتروى في أجواء الاستبداد العثماني، والسيرة الشعبية عموماً إنما تصور زمن كتابتها وروايتها، وإن كانت تستخدم أشخاصاً، ووقائع من الماضي(١).

فماذا تود أن تقول هذه السيرة عن عصرها؟.

أو ماذا يمكن أن نقرأ في هذا الذي سميناه حلماً أنتجه الوعي الشعبي(٢).

إن السيرة بما تخلق من تعاطف مع شخصية الحلاج وتسويغ لكلامه وسلوكه الغريبين إنما تشكو واقعاً جامداً ومُقَوْلَباً وهي إن لم تكن نشداناً للمدنية والتطوير فإنها بكل تأكيد نزوع واضح للحرية والكرامة الإنسانيتين.

إنها مطالبة صريحة بتقدير أحوال الرجال، فالشريعة تحمل وجوهاً أخرى غير الوجه الذي يقوم على إذلال الجمهور وإرضاء أهواء ذوي السلطان.

والموقف الذي ذكرناه من قبل في المناظرة أمام الخليفة هو تأكيد

---

(١) فأبو زيد الهلالي هو الفدائي عند الراوي الفلسطيني، وذياب الهلالي هو عمر المختار أو معمر القذافي عند الراوي الليبي. انظر (الآداب الشعبية والتحولات التاريخية الاجتماعية).

مثال: سيرة بني هلال. في مجلة عالم الفكر ص ٣٧ و ص ٣٩.

(٢) انظر (اللغة المنسية) ص ٢٣١ وما يليها.

على مطلب الحرية عبر إظهار الفروق الفردية، لأنه دعوة صريحة لتقدير أحوال الرجال والرموز التي تؤكد ما ذكرنا كثيرة، وأهمها (السجن)، فالسجن تظهر دلالته الرمزية عندما نقرأ: «دخل السجن فوجد فيه خلقاً كثيراً»، والسجن قد يكون (الدنيا)(١) في مستوى رمزي أعمق تقتضيه سيرة صوفي، إلا أن هذا المستوى لا يلغي نزعة الحرية على مستوى أقل عمقاً، فماذا يعني قوله للسجناء: «ما حبسكم إلا ذنوبكم، وغفلة قلوبكم عن محبوبكم» سوى التأكيد على رفضه شرعية هذا السجن، ثم يأتي (خروجه) مع المساجين بشكل غير شرعي تأكيداً على عدم شرعية (الإدخال).

وإذا كان الإدخال بشرعية الشريعة، فالخروج كان بشرعية الحقيقة أو الكرامة، وقد جاءت الكرامة تحمل رموز الحرية: المركب والبحر.

وحين ننظر في التهمة الكبرى الموجهة للحلاج، وهي تكذيب المؤذن فإننا نلمس من السيرة تحرقاً إلى حرية القول، وإن كانت تحمل في الوقت ذاته تحرقاً لا يقل عنه في احتقار الكذب والتزييف، وتفريغ الألفاظ من المعنى، وكلا الأمرين واحد، لأن القمع السياسي إذ يمارس على حرية القول فإنه يعمل على إنتاج قول مزيف فارغ المحتوى(٢).

في موقف المناظرة تم عرض نموذج للكلمة الصادقة، وأثرها، وفي هذا إيقاظ للكرامة الإنسانية، وتنبيه إلى خطر انحطاط الإنسان من برج اللغة والكلام إلى درك اللغو والتصويت.

وقد يكون من المفيد جداً النظر في دلالة (اسم الله الأعظم) الذي يشكل الشرارة الأولى لتفجير الأحداث، لنرى مدى التأكيد على أهمية

---

(١) جاء في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» (طبقات الصوفية) ص ١٧.

(٢) يقول أدونيس: «لا يستطيع الكتاب العربي أن ينتقل بحرية إلا في حالة واحدة: أن لا يطرح أية مشكلة. أي أن لا يقول شيئاً.

إن الكتاب العربي الفارغ هو وحده الذي يملأ المكتبات العربية من المحيط إلى الخليج» (زمن الشعر) ص ٨٠.

الجوهر الإنساني، ومدى التأكيد على الصدق كطريق إلى هذا الجوهر.

جاء في فصوص الحكم لابن عربي: «الإنسان هو اسم الله الأعظم لأنه أعظم دليل على المسمى»[١].

كما جاء فيه: «قيل لأبي يزيد: أرنا (اسم الله الأعظم) فقال: أسماء الله كلها عظيمة، فما هو إلا الصدق. اصدق وخذ أي اسم شئت، فإنك تفعل به ما شئت»[٢].

أخيراً...

والآن بقيت نقطة أخيرة يثيرها تساؤلنا عن الأسلوب الذي تعتمده السيرة في مواجهة الظلام القائم، ولا أرى الإجابة تحتاج كثير عناء، فالسيرة تجنح إلى التسامح، والسلام، وقد جاء التسويغ الفني لهذا التسامح على شكل إكرام المريد لشيخه «لأجل عين تكرم ألف عين» ولا أرى تعليل هذا الجنوح السلمي مقتصراً على أن الواقعة التاريخية قد تمت بدون أية مظاهر للعنف، فالتاريخ يروي حدوث بعض مظاهر العنف ـ وإن كانت بسيطة ـ كإحراق بعض الدكاكين[٣] ولكن من الأرجح أن الذي ساهم بتشكيل هذا الموقف المتسامح في السيرة هو كثرة القلاقل والفتن، وما كانت تجر على البلاد من دمار وإفقار[٤].

---

(١) (المعجم الصوفي) ص ٦٠٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١١.

(٣) انظر (المنحى الشخصي لحياة الحلاج...) ص ٧٨.

(٤) يقول ماسينيون معلقاً على رحيل الحلاج إلى مكة: «ويلوح أن هذا الرحيل كان في نفس الوقت الذي أخمدت فيه فتنة الزنج، وقضي عليها فيه نهائياً، مما أكد عند الحلاج هذا اليقين، وهو أن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتم عن طريق الحرب الدنيوية، لكن عن طريق الصلوات والتضحيات في حياة الزهد والمجاهدة» (المنحى الشخصي...) ص ٦٥.

ملحق

ترجمة الحلاج من بعض كتب التراجم

١

ترجمته من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير

ترجمة الحلاّج

ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله، فنقول: هو الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله، كان جده مجوسياً اسمه محمى من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء، ونشأ بواسط، ويقال بتستر، ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام، ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري. قال الخطيب البغدادي: والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقَبِلَهُ من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصراباذي النيسابوري، وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني. وقال أبو عبد الرحمن السلمي ـ واسمه محمد بن الحسين ـ سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذي وقد عوتب في شيء حكي عن الحلاج في الروح فقال للذي عاتبه: إن كان بعد

النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج. قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقو ل سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روي عن الشبلي من وجه آخر أنه قال، وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أنهك عن العالمين؟ قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة في فعله، وإلى الزندقة في عقيدته وعقده. قال: وله إلى الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه ويغلون. وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره، فأما الفقهاء فحكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان كافراً ممخرقاً مموهاً مشعبذاً، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه.

ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه، وغرّهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يمكن له علم، ولا بُني أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان. فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد، فصار من أهل الانحلال والانحراف.

وقد روي من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل. وصح أنه دخل إلى الهند وتعليم بها السحر وقال: أدعو به إلى الله، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ـ أي أنه من رجال الغيث ـ ويكاتبه أهل سركسان بالمقيت، ويكاتبه أهل خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد، وأهل خوزستان بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار.

وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له: المصطلم. وأهل البصرة يقولون له: المحير، ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكاشفهم عن ما في ضمائرهم، وقيل لأنه مرة قال لحلاج:

اذهب لي في حاجة كذا وكذا، فقال: إني مشغول بالحلج، فقال: اذهب فأنا أحلج عنك، فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال إنه أشار بالمرود، فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر، وإن كان قد جرى مثل هذا، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم. وقيل لأن أباه كان حلاجاً. ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك، فمن ذلك قوله:

جُبِلَتْ روحكَ في روحِي كما ... يجبلُ العنبرُ بالمسكِ الفَنِقْ
فإذا مسّكَ شيءٌ مسّنِي ... وإذا أنتَ أنا لا نفترِقْ

وقوله:

مُزجتَ روحُكَ في روحِي كما ... تُمزجُ الخَمْرةُ بالماءِ الزّلالِ
فإذا مسّكَ شيءٌ مَسَّنِي ... فإذا أنتَ أنا في كلِّ حالِ

وقوله أيضاً:

قَدْ تَحقَّقْتُكَ في سِرِّ ... ي فخاطَبَكَ لِساني
فاجْتَمَعْنا لِمعانٍ ... وافْتَرقْنا لِمَعانِ
إن يَكُنْ غيَّبَكَ التّعظِيـ ... مُ عن لحظِ العِيانِ
قَدْ صَيَّرَكَ الوَجْـ ... دُ مِنَ الأَحْشاءِ دانِ

وقد أُنشد لابن عطاء قول الحلاّج:

أُريدكَ لا أُريدكَ لِلثَّوابِ ... ولكنّي أُريدكَ لِلْعِقابِ
وكلّ مآربِي قد نِلْتُ منها ... سوى مَلْذوذِ وجدِي بالعَذابِ

فقال ابن عطاء: قال هذا عندما تزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف، واحتراق الأسف، فإذا صفا ووفا علا إلى مشرب عذب وهاطل من الحق دائم سكب. وقد أُنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الحلاج:

سبحانَ مَنْ أظهرَ ناسوتَهُ ... سِرٌّ سَنا لا هُوتِهِ الثَّاقِبِ

ثُـمَّ بـدا فِـي خـلـقِـهِ ظـاهِـراً ... فـي صُـورةِ الآكِـلِ والـشَّـارِبِ

حـتّـى لَـقَـدْ عـايَـنَـهُ خـلـقُـهُ ... كـلـحْـظَـةِ الـحـاجِـبِ بِـالـحـاجِـبِ

فقال ابن خفيف: علا من يقول هذا لعنه الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحلاج، فقال: قد يكون مقولاً عليه. وينسب إليه أيضاً:

أَرسَلْتَ تسأل عنّي كيفَ كنتُ وما ... لاقَيْتُ بعدَكَ من هَمٍّ ومن حزنِ

لا كُنتُ إنْ كُنتُ أَدْرِي كيفَ كُنتُ ولا ... لا كُنتُ إن كنت أدرِي كيفَ لَمْ أَكُنِ

قال ابن خلكان: ويروى لسمنون لا للحلاج. ومن شعره أيضاً قوله:

مَتى سَهِرَتْ عينِي لغيرِكَ أو بَكَتْ ... فلا أُعْطِيَتْ ما أَمّلَتْ وتَمنّتِ

وإِنْ أَضْمَرَتْ نفسِي سواكَ فلا زَكَتْ ... رِياضُ المُنى من وجنتَيْكِ وجنَّتِ

ومن شعره أيضاً:

دُنـيـا تـغـالِـطُـنِـي كـأنّـنِـي ... لَـسْـتُ أعـرِفُ حـالَـهـا

حَـظَـرَ الـمَـلِـيـكُ حـرامَـهـا ... وأنـا احْـتـمَـيْـتُ حـلاَلَـهـا

فـوجـدْتُـهـا مـحـتـاجَـةً ... فـوهَـبْـتُ لـذّتَـهـا لَـهـا

وقد كان الحلاج يتلوّن في ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة يتجرد في ملابس زرية، وتارة يلبس لباس الأجناد ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد. وقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة وبيده ركوة وعكازة وهو سائح فقال له: ما هذه الحالة يا حلاج؟ فأنشأ يقول:

لَـئِـنْ أمْـسَـيْـتُ فِـي ثَـوْبَـيْ عـديـم ... لَـقَـدْ بَـلِـيـا عـلـى حُـرٍّ كـرِيـمِ

فـلا يـغـرُرْكَ أَنْ أبـصـرْتَ حـالاً ... مـغـيَّـرَةً عـن الـحـالِ الـقـدِيـمِ

فـلـي نـفـسٌ سـتَـتْـلَـفُ أو سـتَـرْقـى ... لَـعَـمْـرُكَ بِـي إلـى أمْـرٍ جَـسِـيـمِ

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشيء ينفعه الله به، فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك عن الحق. وقال له رجل: عظني. فقال: كن مع الحق بحكم ما أوجب. وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع

كلمات: حب الجليل وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

قلت: وقد أخطأ الحلاج في المقامين الأخيرين، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة بل تحوّل عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة، نسأل الله العافية.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي: أنه قال: كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته. قال الخطيب: وحدثني مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول: الناس فيه ـ يعني حسين بن منصور الحلاج ـ بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول: لو قدرت لقتلته بيدي. فقلت له: إيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به. قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: زوّجت ابنتي من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر.

قلت: كان تزويجه إياها بمكة، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق فقال له: ما هذا؟

فقال: هوذا أعارض القرآن. قال: فدعا عليه فلم يفلح بعدها، وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته. وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه، فشرد الحلاج في البلاد فعاث يميناً وشمالاً، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق، والله أعدل من أن يسلطه على صديق، كيف وقد تهجم

على القرآن العظيم، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل، وقد قال تعالى: **﴿ومَنْ يردْ فيه بإلحادٍ بظلم نذقْهُ من عذابٍ أليم﴾** [الحج: ٢٥] ولا إلحاد أعظم من هذا. وقد أشبه الحلاج كفارة قريش في معاندتهم، كما قال تعالى عنهم: **﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعْنَا لو نشاءُ لقلنا مثلَ هذا إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوَّلين﴾** [الأنفال: ٣١].

أشياء من حيل الحلاّج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بعث رجلاً من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسّح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء ممّا تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني، في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت. فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن.

فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زَمِنَ، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شيء، فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئاً وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو علي يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولاً يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفياً وعليه ثياب صوف بيض.

فدخل المسجد ولزم سارية، يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبروهُ بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه.

فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له ثم تفل من ريقه في كفيه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة وكبَّروا الله وسبَّحوه وعظَّموا الحلاج تعظيماً زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور. ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم. فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيراً فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك.

فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى: صدق الشيخ، قد رد الله عليَّ بصري ومنَّ الله عليَّ بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم. ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالاً كثيراً ألوفاً من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال.

وروي عن بعضهم قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات فأحببت أن أختبر ذلك فجئته فسلمت عليه فقال لي: تشتهي

على الساعة شيئاً؟ فقلت: أشتهي سمكاً طرياً فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج عليّ ومعه سمكة تضطرب، ورجلاه عليهما الطين فقال: دعوت الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة، فخضت الأهواز وهذا الطين منها. فقلت: إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك، فإن ظهرت على شيء وإلا آمنت بك. فقال: ادخل. دخلت فأغلق لي الباب وجلس يراني.

فدرت البيت فلم أجد فيه منفذًا إلى غيره، فتحيرت في أمره ثم نظرت فإذا أنا بتأزيرة ـ وكان مؤازراً بازارِ ساجٍ ـ فحركتها فانفلقت فإذا هي باب منفذ فدخلته فأفضى بي إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة، قد أحسن إبقاءها. وإذا أشياء كثيرة معدودة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير صغار وكبار، فدخلتها فَأخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين مثل الذي نال رجليه، فجئت إلى الباب فقلت: افتح قد آمنت بك. فلما رآني على مثل حاله أسرع خلفي جرياً يريد أن يقتلني. فضربته بالسمكة في وجهه وقلت: يا عدو الله أتعبتني في هذا اليوم. ولما خلصت منه لقيني بعد أيام فضاحكني وقال: لا تفش ما رأيت لأحد وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك. قال: فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه فلم أحدث به أحداً حتى صلب.

وقال الحلاج يوماً لرجل: آمن بي حتى أبعث لك بعصفورة تأخذ من ذرقها وزن حبة فتضعه على كذا مَنًّا من نحاس فيصير ذهباً. فقال له الرجل: آمن أنت بي حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك. قال: فبهت وسكت. ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق والشعوذة وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل. وقد استدعي يوماً برئيس من الرافضة فدعاه إلى الإيمان به فقال له الرافضي: إني رجل أحب النساء وإني أصلع الرأس، وقد شبت، فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت بك وأنك الإمام المعصوم، وإن شئت

قلت إنك نبي، وإن شئت قلت إنك أَنت الله. قال: فبهت الحلاج ولم يحر إليه جواباً.

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: كان الحلاج متلوّناً، تارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدّراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فسّاقاً أو غيرهم، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة، فسئل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال: إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جرزتين من شوك. فلما بلغ ذلك الحلاّج تحول من الأهواز. قال الخطيب: أنبأ إبراهيم بن مخلد أنبأ إسماعيل بن علي الخطيب في تاريخه قال: وظهر أمر رجل يقال له الحلاج الحسين بن منصور، وكان في حبس السلطان بسعاية وقعت به، وذلك في وزارة علي بن عيسى الأولى، وذُكر عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني الخليفة المقتدر بالله ـ فلم يقرَّ بما رُمِي به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادى عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به ثم يحبس، فأقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس، خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم، إلى أن حبس آخر حبسة في دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموّه عليهم واستمالهم بضروب من الحيل، حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفِّهُونه بالمآكل المطيبة، ثم أرسل جماعة من الكتّاب وغيرهم ببغداد وغيرها، فاستجابوا له وترقّى به الأمر إلى أن ادّعى الربوبية، وسُعِيَ بجماعة من أصحابه إلى السلطان فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بذلك بلسانه، وانتشر خبره وتكلم الناس في قتله، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه بحضرة القضاة والعلماء ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن

السلطان أمره ووقف على ما ذكر عنه، وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي في يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه.

وقال أبو عبد الرحمن بن الحسن السلمي: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها ليلاً ولا نهاراً، فأنكروا ذلك من حاله ففتشوا مخلاته فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان ـ يدعوه إلى الضلالة والإيمان به ـ فبعث بالكتاب إلى بغداد فسئل الحلاج عن ذلك فأقر أنه كتبه فقالوا له: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الألوهية والربوبية؟

فقال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة؟ فقيل له: معك على ذلك أحد؟ قال: نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريري وأبو بكر الشبلي. فسئل الحريري عن ذلك فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلي عن ذلك فقال: من يقول بهذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال: القول ما يقول الحلاج في ذلك. فعوقب حتى كان سبب هلاكه. ثم روى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الرحمن الرازي أن الوزير حامد بن العباس لما أحضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد فأنكروا ذلك وكفروا من اعتقده، فقال الوزير: إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا. فقالوا: من قال بهذا فهو كافر.

ثم طلب الوزير ابنَ عطاء إلى منزله فجاء فجلس في صدر المجلس فسأله عن قول الحلاج فقال: من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد. فقال الوزير لابن عطاء: ويحك تصوب مثل هذا القول وهذا الاعتقاد؟ فقال ابن عطاء: مالك ولهذا، عليك بما نصبت له من أخذ

أموال الناس وظلمهم وقتلهم فما لك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء.

فأمر الوزير عند ذلك بضرب شدقيه ونزع خُفَّيْهِ وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم من منخريه، وأمر بسجنه. فقالوا له: إن العامة تستوحش من هذا ولا يعجبها. فحمل إلى منزله، فقال ابن عطاء: اللهم اقتله واقطع يديه ورجليه. ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام، ثم بعد مدة قتل الوزير شر قتلة، وقطعت يداه ورجلاه وأحرقت داره. وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء على عادتهم في مرائيهم فيمن أوذي ممن لهم معه هوى. بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذي ابن عربي أو يحط على حسين الحلاج أو غيره. هذا بخطيئة فلان وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا.

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري حين أحضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر هذا وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً وما جاء به حقاً فما يقوله الحلاج باطل. وكان شديداً عليه. وقال أبو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيته جاهلاً يتعاقل، وغبياً يتبالغ، وخبيثاً مدعياً. وراغباً يتزهد، وفاجراً يتعبد. ولما صلب في أول مرة ونودي عليه أربعة أيام سمعه بعضهم وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقي علي شبهه وغاب عنكم فلما أُدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول: يا معين الفنا علي أعنّي على الفنا. وقال بعضهم: سمعته وهو مصلوب يقول: إلهي أصبحت في دار الرغائب، أنظر إلى العجائب، إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف بمن يؤذى فيك.

صفة مقتل الحلاّج

قال الخطيب البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج قد أضلّ خلقاً من الحشم والحجاب في دار

السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهي. وقال: إنه أحيا عدة من الطير. وذكر لعلي بن عيسى أن رجلاً يقال له محمد بن علي القنائي الكاتب يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى طاعته. فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود. ووجد عنده سفطاً فيه من رجيع الحلاج وعذرته وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده. فطلب الوزير من المقتدر أن يتكلم في أمر الحلاج ففوّض أمره إليه، فاستدعى جماعة من أصحاب الحلاج فتهددهم فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إله مع الله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به في وجهه، فجحد ذلك وكذبهم وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك. وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، ويكثر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشرة قيداً، والمدرعة واصلة إلى ركبتيه، والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضاً، وكان مع ذلك يصلِّي في كل يوم وليلة ألف ركعة.

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، مأذوناً لمن يدخل إليه، وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه، وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة، رقاها فزالت عنها، فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سُلِّمَ إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته، وأنه ساحر ممخرق.

ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه أحدهما أبو علي

هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له الدبّاس، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئاً كثيراً، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت، فقال: قومي إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها. وأمر ابنتها بالسجود له فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟

فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض. ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك ما أرادت، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة. ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام وفزع فزعاً شديداً، وألقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام، ورجع محموماً فمرض عدة أيام.

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه: ومن أراد الحج ولم يتيسر له فليبنِ في داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسة ولا يمكِّن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج. وإن من صام ثلاثة لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان ومن صلّى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره، فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟

فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا

حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا. فأقبل الوزير على القاضي فقال له: قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا على ما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء مما يقول. وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر، ورُدَّ الحلاج إلى محبسه وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول له: إن أمر الحلاج قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان وقد افتتن كثير من الناس به. فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة. وليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه.

ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة فسلمه إليه وبعث معه طائفة من غلمانه يصلون معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يستنقذ من أيديهم. وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القعدة من هذه السنة، وهو راكب على بغل عليه إكاف وحوله جماعة من أعوان السياسة، على مثل شكله، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ويدعو دعاء كثيراً. قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول: قال أبو الحديد ـ يعني المصري ـ: لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحلاج قام يصلّي من الليل فصلّى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك فلو دلّتنا عزتك لتبدّى ما شئت من شأنك ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، تتجلى لمّا تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة،

والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم أني أوعزت إلى شاهدك لأني في ذاتك الهوى، كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي، إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت السافيات الذاريات، ولججت في الجاريات، وإن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات، ثم أنشأ يقول:

أَنعِي إليكَ نُفوساً طاحَ شاهِدُها ... فِيما وَرا الحَيْثِ بَلْ في شاهِدِ القِدَمِ
أَنعِي إليكَ قُلوباً طالَما هَطَلَتْ ... سَحائِبُ الوَحْيِ فيها أَبْحُرَ الحِكَمِ
أَنعِي إليكَ لِسانَ الحقِّ منكَ ومِنْ ... أَوْدى وتِذْكارُهُ في الوَهْمِ كالعَدَمِ
أَنعِي إليكَ بَياناً يَستكينُ لَهُ ... أقوالُ كلِّ فَصيحٍ مِقْولٍ فَهِمِ
أَنعِي إليكَ إشاراتِ العُقولِ مَعاً ... لَمْ يبقَ مِنهُنَّ إلاّ دارسُ العِلَمِ
أَنعِي وحبُّكَ أخْلاقٌ لِطائِفَةٍ ... كانتْ مطاياهُمُ من مكْمَدِ الكَظِمِ
مَضى الجَميعُ فلا عَيْنٌ ولا أَثَرٌ ... مِضِيَّ عادٍ وفُقْدانَ الأُولى إِرَمِ
وخَلّفوا مَعْشراً يَحْذُونَ لِبسَتَهمْ ... أَعْمى من البُهْمِ بَلْ أعْمَى مِنَ النَّعَمِ

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طَلبتُ المُسْتَقرّ بِكلِّ أرضٍ ... فَلَمْ أرَ لِي بِأرْضٍ مُسْتَقرّا
وذُقْتُ مِنَ الزمَّانِ وذاقَ مِنّي ... وَجَدْتُ مذاقَهُ حُلْواً ومُرّاً
أَطَعْتُ مطامِعِي فاستعبدَتْنِي ... ولَوْ أنّي قنعْتُ لَعِشْتُ حُرّا

وقيل: إنه قالها حين قُدّم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول، فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشرة قيداً وجعل ينشد ويتمايل:

نَديمِي غَيرُ مَنسُوبٍ ... إلى شَيءٍ مِنَ الحَيْفِ
سَقاني مِثْلَ ما يَشْرَبْ ... كَفِعْلِ الضَّيْفِ بِالضَّيْفِ

فلـمّـا دارتِ الكـأسُ دعـا بـالـنّـطْـعِ والسَّـيْـفِ
كـذا مـن يَـشْـربُ الـرَّاحَ مَـعَ الـتّـنِّـيـنِ فـي الـصَّـيْـفِ

ثم قال: ﴿يستعجلُ بها الذين لا يؤمنونَ بها والذين آمنوا مُشفِقون منها ويعلمونَ أنَّها الحقُّ﴾ [الشورى: ١٨] ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فُعل به ما فُعل. قالوا: ثم قدم فضُرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط: أحدٌ أحدٌ. قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاّج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رقّ له، واستحسن هذا الكلام منه، وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادي - وكان صاحب الحلاج - قال: رأيت في النوم بعد ثلاثٍ من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربّي عزّ وجلّ وأنا أقول: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فَأنزلتُ به ما رأيت. ومنهم من قال: بل جزع عند القتل جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً، فالله أعلم.

وقال الخطيب: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليُقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فدنوت منه فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. ثم قتل فما عاد. وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: أدع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية، فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يداه ورجلاه وحزّ رأسه وأحرقت جثّتُه وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً. وزعم بعضهم أنه رأى

الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال: لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتم. وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج. فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال: إن كان هذا الرأي صادقاً فقد تبدّى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به، كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.

قال الخطيب: اتفق له أن دجلة زادت في هذا العام زيادة كثيرة. فقال: إنما زادت لأن رماد جثة الحلاج خالطها. وللعوام في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديماً وحديثاً. ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع. وكان قتله يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القعدة من سنة تسع وثلثمائة ببغداد. وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وحكى اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي أنه ذكره في مشكاة الأنوار وتأول كلامه وحمله على ما يليق. ثم نقل ابن خلكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه ويقول إنه اتفق هو والجنابي وابن المقفع على إفساد عقائد الناس، وتفرقوا في البلاد فكان الجنابي في هجر والبحرين، وابن المقفع ببلاد الترك، ودخل الحلاج العراق، فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل.

قال ابن خلكان: وهذا لا ينتظم فإن ابن المقفع كان قبل الحلاج بدهر في أيام السفاح والمنصور، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها. ولعل إمام الحرمين أراد ابن المقفع الخراساني الذي ادّعى الربوبية وأوتي العمر واسمه عطاء، وقد قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً، وإن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين فنذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت واحد على إضلال الناس وإفساد العقائد كما ذكر، فيكون المراد بذلك الحلاج وهو الحسين بن منصور الذي ذكره، وابن السمعاني - يعني أبا جعفر محمد بن علي - وأبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام

الجنابي القرمطي الذي قتل الحجاج وأخذ الحجر الأسود وطمَّ زمزم ونهب أستار الكعبة، فهؤلاء يمكن اجتماعهم في وقت واحد كما ذكرنا ذلك مبسوطاً، وذكره ابن خلكان ملخصاً. وفيها توفي من الأعيان.

أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية

وهو أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي. حدّث عن يوسف بن موسى القطان، والمفضل بن زياد وغيرهما، وقد كان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله، وكان أبو العباس هذا يقرأ في كل يوم ختمة، فإذا كان شهر رمضان قرأ في كلّ يوم وليلة ثلاث ختمات، وكان له ختمة يتدبرها ويتدبر معاني القرآن فيها. فمكث فيها سبع عشرة سنة ومات ولم يختمها، وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج موافقته فعاقبه الوزير حامد بن العباس.

٢

ترجمته من كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان

الحلاج

أبو مُغِيث الحسين بن منصور الحَلاَّجُ الزاهد المشهور؛ هو من أهل البَيْضاء وهي بلدة بفارس، ونشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجُنَيد وغيره، والناس في أمره مختلفون: فمنهم مَن يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفره ورأيت في كتاب «مشكاة الأنوار» تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله «أنا الحق» وقوله «ما في الجبة إلا الله» وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها، وحمَلَها كلها على محامل حسنة، وأوّلَها، وقال: هذا من فرط المحبة وشدة الوَجْد، وجعل هذا مثل قول القائل:

أَنـا مَـنْ أهْـوَى ومَـنْ أهْـوى أنـا   نَـحْـنُ رُوحـانِ حَـلَـلْـنـا بَـدَنـا
فـإذا أَبْـصَـرْتَـنِـي أَبْـصَـرْتَـهُ   وإذا أَبْـصَـرْتَـهُ أَبْـصَـرْتَـنـا

وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه انه كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد، ويسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم، ويتكلم بما في ضمائر الناس، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول؛ وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام، فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهيّ ويدعي فيه الربوبية، ومن قائل إنه وليُّ الله تعالى وإن الذي

يظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومن قائل أنه ممخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن، والجنّ تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها.

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقفٍ شتاء ولا صيفاً، وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار. وكان شيخ الصوفية بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوفَ الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال: هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداد. انتهى كلام ابن الأثير.

وكان في سنة ٢٩٩ ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس، وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم، ووقع بينه وبين الشبليّ وغيره من مشايخ الصوفية، فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناظره، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة، فحكي انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه: قف من حيث انتهيت ولا تزد عليَّ شيئاً وإلا خسفت الأرض من تحتك، وكلاماً في هذا المعنى، فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنُقل في سنة ٣٠٩ إلى حامد بن العباس الوزير، فحدَّث غلام لحامد كان موكلاً بالحلاج قال: دخلت عليه يوماً ومعي الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كلّ يوم، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع، فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت. وحُمَّ هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموماً، فكذَّبه حامد وشتمه وقال: ابعد عني. وكان دخوله إلى بغداد مشهراً على جمل وحُبس في دار المقتدر، وأفتى العلماء بإباحة دمه.

وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل

ووافقه على حيلة يعملها، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهوراً، ثم أظهر أنه زَمِنٌ فكان يحبو ويُحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك: رأيت النبي ﷺ في النوم يقول: إنه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرّج عني، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرّد في الجامع فقال الأعمى: احملوني إليه، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له: يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادعُ الله تعالى لي، فقال: ومن أنا وما تحكي؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرَأ مما فيه شهوراً ثم قال لهم: إن من حق الله عندي وردِّه جوارحي عليّ أن أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا، وأن يكون مقامي في الغزو، وقد عملت على الخروج إلى طرسوس، فمن كانت له حاجة يحملها. فأخرج هذا ألف درهم وقال: أُغز بهذه عني، وأخرج هذا مائة دينار وقال: اخرج بها غزاة من هناك، وأعطاه كل أحد شيئاً فاجتمع له ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاج وقاسمه عليها.

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر وقد قُرىء عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه، أفرد في داره شيئاً لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافَهُ بالبيت الحرام، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت وقدّم إليهم ذلك الطعام وتولّى خدمتهم بنفسه، فإذا أكلوا وغسلوا أيديهم كسا كلّ

واحد منهم قميصاً ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة، فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج، فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي وقال له: من أين لك هذا؟

قال: من كتاب «الإخلاص» للحسن فقال له أبو عمر: كذبت يا حلاج، اللهم قد سمعنا كتاب «الإخلاص» للحسن بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت... الخ.

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله:

لا كنتُ إن كُنتُ أدري كَيفَ كُنتُ، ولا لا كُنتُ إنْ كُنت أدْري كيفَ لم أكُنِ

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح:

أَلقاهُ في اليَمِّ مَكْتُوفاً وقالَ لَهُ إيّاكَ إيّاكَ أنْ تَبْتَلَّ بِالماءِ

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب.

وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري: سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول:

طَلَبْتُ المُسْتَقَرّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أرَ لي بِأرْضٍ مُسْتَقَرّا

أطعْتُ مَطامِعِي فاسْتَعْبَدَتْنِي ولَوْ أنّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرّا

والبيت الذي قبل قوله:

لا كُنْتُ إن كُنْتُ أدري...

أرْسَلْتَ تَسأَلُ عَنّي كَيْفَ كُنتُ وما لاقَيتُ بَعْدَكَ مِن هَمٍّ ومِن حَزَنِ

وقيل: إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله، فكتب إليه هذين البيتين، والله أعلم.

وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر.

وكان جدُّه مجوسيّاً وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومَن في طبقته، وأفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه.

ويقال: إن أبا العباس ابن سُرَيج كان إذا سئل عنه يقول: هذا رجل خَفِيَ عنّي حاله، وما أقول فيه شيئاً. وكان قد جرى منه كلام

في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر، فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه مَن حضر المجلس من الفقهاء، فقال لهم الحلاج: ظَهْري حِمًى ودمي حرام، وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليَّ بما يبيحه، وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، ولي كتب في السنَّة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي، ولم يزل يردِّد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس، وحُمِل الحلاج إلى السجن.

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتَوْا بقتله فليُسَلَّم إلى صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط، فإن مات من الضرب وإلا ضَرَبه ألف سوط أخرى، ثم تُضرب عنقه، فسلَّمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر، وقال: إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحزّ رقبته وتحرق جثته، وإن خدعك وقال لك: أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه، فتسلّمه الشرطي ليلاً، وأصبح يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين، وقيل لستٍّ بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلثمائة، فأخرجه عند باب الطاق، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم، وضربه الجلاد ألف سوط، ولم يتأوّه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة: أُدْعُ بي إليك، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية، فقال له: قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل. فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة، ثم حزّ رأسه وأحرق جثته، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد على الجسر، وجعل أصحابه يَعِدُون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة، فادعى أصحابه

أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها. وادَّعى بعضُ أصحابه أنه لم يُقتل، وإنما ألقى شبهه على عدوّ له.

وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم: لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول؛ ومن شعره المنسوب إليه:

مَتى سَهرَتْ عَيْنِي لِغيرِكَ أو بَكَتْ فلا بَلَغَتْ ما أمَّلَتْ وتَمَنَّتِ
وإن أضْمَرَتْ نفسِي سِواكَ فلا رَعَتْ بِأرْضِ المُنى مِنْ وَجْنَتَيْكَ وجَنَّتِ

وشرح حاله فيه طول، وفيما ذكرناه كفاية.

والحلاَّج: بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم. وإنما لُقِّبَ بذلك لأنه جلس على حانوت حَلاَّج واستقضاه شغلاً، فقال الحلاج: أنا مشتغل بالحلج، فقال له: امض في شغلي حتى أحلج عنك، فمضى الحلاج وتركه، فلما عاد رأى قُطنَهُ جميعه محلوجاً. وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها، فسمي بذلك حلاج الأسرار.

٣

ترجمته
من دائرة المعارف الإسلاميّة

«الحلاج»

أبو المغيث الحسين بن حُمَى البيضاوي: متصوف ومتكلم فارسي كتب مؤلفاته باللغة العربية. ولد حوالي عام ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) في الطور بالقرب من البيضاء من أعمال فارس. وهو حفيد مجوسي من عبدة النار أو من سلالة الصحابي أبي أيوب كما يقال. وقد قضى الحلاج الأعوام من ٣٦٠ هـ (٨٧٣ م) إلى ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) في خلوة مع شيوخ الصوفية (التستري، عمرو المكي، الجنيد) ثم انفصل عنهم وخرج إلى الدنيا يدعو إلى الزهد والتصوف وأصبح كذلك داعياً للقرامطة في خراسان (طالقان) والأهواز وفارس والهند (كجرات) والتركستان، وسرعان ما اجتمع حوله تلاميذه الحلاجية عند عودته من مكة إلى بغداد عام ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م). واتهمه المعتزلة بالشعوذة، وأخرج من الطريقة بمقتضى «توقيع» من الإمامية وفتوى من الظاهرية. وقبض عليه رجال الشرطة العباسيون مرتين، وأحضر أمام الوزير ابن عيسى وعُذِّبَ في عام ٣٠١ هـ (٩١٣ م) وأمضى ثماني سنوات في سجن بغداد.

وكانت رعاية شغب أم المقتدر، والحاجب نصر للحلاج سبباً في أن عاداه الوزير حامد فأمر بقتله بعد محاكمة دامت سبعة أشهر بمقتضى فتوى أقرها القاضي المالكي أبو عمر وفي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة عام ٣٠٩ (٢٦ مارس سنة ٩٢٢)

جلد الحلاج وقطعت أوصاله وشوه وصلب، ثم حز رأسه وأحرق، وذلك في ساحة السجن الجديد ببغداد على الضفة اليمنى لنهر دجلة أمام باب الطاق.

وقد أدى صلب الحلاج إلى نشوء أساطير تذهب إلى أنه لم يصلب وإنما الذي صلب شخص آخر غيره كما هي الحال في صلب المسيح. (Rev. Hist. des Riligions جـ ٦٢ ص ١٩٥ ـ ٢٠٧). وتجمّع تلاميذه المضطهدون حول أبي عماره الهاشمي في الأهواز، وفارس الدينوري في خراسان وبفضل جماعة فارس الدينوري انتعش الشعر الصوفي الفارسي على يد أبي سعيد (انظر هذه المادة) والشعر الصوفي التركي على يد أحمد يسوي ونسيمي (انظر هذه المادة).

مذهب الحلاجية:

أ ـ في الفقه: يمكن الاستعاضة عن الفرائض الخمس بشعائر أخرى بما في ذلك الحج (أسقاط الوسائط).

ب ـ في علم الكلام: تنزيه الله عن حدود الخلق (الطول والعرض)، وجود روح ناطقة غير مخلوقة تتحد مع روح الزاهد المخلوقة (حلول اللاهوت في الناسوت). يصبح الولي الدليل الذاتي الحي على الله (هو هو) ومن ثم القول «أنا الحق» (انظر الطواسين، جـ ٦، ص ٣٢).

جـ ـ في التصوف: الاتحاد التام مع الإرادة الإلهية (عين الجمع) عن طريق الشوق والاستسلام للألم والمعاناة أما الذكر الذي ينسبه الشيخ السنوسي للحلاجية فمن الأمور المستحدثة. وقلّ بين المسلمين من ثار حوله الجدل كما ثار حول الحلاج. ذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية على الرغم من إجماع القضاة على تكفيره. وفيما يلي أسماء أهم الفقهاء الذي كان لهم رأي في هذه القضية الكبرى، وسنرمز بالحرف «ك» لمن قالوا بتكفيره وبالحرف «و» لمن قالوا بولايته وبالحرف «ت» لمن توقفوا عن الحكم عليه:

أ ـ **الفقهاء**: الظاهرية (ك: ابن داود، ابن حزم) الإمامية (ك: ابن بابويه، الطوسي، الحليّ؛ و: الشوشتري، العاملي) المالكية (ك: الطرطوشي، عياض، ابن خلدون؛ و: عبدري، الدلنجاوي). الحنابلة (ك: ابن تيمية؛ و: ابن عقيل [تراجع فيما بعد]، الطوفي) الحنابلة (ت: ابن بهلول؛ و: النابلسي). الشافعية (ت: ابن سريج، ابن حجر، السيوطي، العُرضي؛ ك: الجويني الذهبي؛ و: المقدسي، اليافعي، الشعراوي، الهيثمي، ابن عقيلة، سيد مرتضى).

ب ـ **المتكلمون**: المعتزلة (ك: الجبائي، القزويني). الإمامية (ك: مفيد؛ و: نصير الدين الطوسي، ميبذي، أمير داماد) الأشاعرة (ك: الباقلاني؛ و: ابن خفيف، الغزالي، فخر الدين الرازي). السالمية (و). الماتريدية (ك: ابن كمال باشا، القالي).

ج ـ **الحكماء**: **و**: ابن طفيل، السهروردي، الحلبي.

د ـ **الصوفية**: **ك**: عمرو المكي وأغلب الكتاب المتقدمين مع استثناء، و: ابن عطاء الشبلي، فارس، الكلاباذي، نصر آباذي، السّلمي؛ ت: الحصري، الدقاق، القشيري؛ و: الصيدلاني، الهجويري، أبو سعيد، الهروي، الفارمذي، عبد القادر الجيلاني؛ البقلي، العطار، ابن العربي، الرومي؛ ومعظم المحدثين مع استثناء، ت: أحمد رفاعي، عبد الكريم الجيلي.

وقد اختلف حكم العلماء الأوربيين على الحلاج فيرى كل من مولر Muller ودربلّو D'herpelot أن الحلاج كان نصرانياً في سريرة نفسه، ويتهمه ريسكه Reiske بالكفر، ويرى ثولوك Tholuck أنه كان متناقضاً في أقواله، على حين يعده كريمر Kremer من القائلين بوحدة الكون. ويرى كازنسكي Kazonski أنه كان مريضاً بأعصابه. ويعده براون Browne دساساً ماهراً خطراً. وقد حاول الحلاج ـ بوصفه من أهل الجدل والوجد (انظر Swedenporg, lullius) أن يوفق بين الدين والفلسفة اليونانية على أساس من التجربة الصوفية، وهو في هذا يعد

رائداً للغزالي وقد جعل الصوفية من الحلاج أعظم شهدائهم وإن كان قد أنكر تسترّهم. ولم يبق لنا من مؤلفات الحلاج (انظر كتاب الفهرست جـ ١، ص ١٩٢) إلا كتاب الطواسين (طبعة ماسينيون، باريس ١٩١٣)، ٢٧ رواية عن سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٢ م)، أربعمائة فقرة منثورة، ومائة وخمسين فقرة منظومة وهي نادرة الجمال.

٤

ترجمته من كتاب «الفهرست» للنديم

الحلاج

اسمه الحسين بن منصور. وقد اختلف في بلده ومنشأه، فقيل إنه من خراسان من نيسابور، وقيل من مرو، وقيل من الطالقان. وقال بعض أصحابه إنه من الريّ، وقال آخرون من الجبال. وليس يصحّ في أمره وأمر بلده شيء بتة. قرأت بخط أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر: الحسين بن منصور الحلاج، وكان رجلاً محتالاً مشعبذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، ويتحلى ألفاظهم، ويدعي كل علم، وكان صفراً من ذلك. وكان يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء. وكان جاهلاً مقداماً متدهوراً جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدول، ويدعى عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة. وفي تضاعيف ذلك يدعي أن إلهيّة قد حلّت فيه، وأنه هو هو، تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.

قال: وكان يتنقل في البلدان، ولما قبض عليه سُلِّمَ إلى أبي الحسن علي بن عيسى، فناظره فوجده صفراً من القرآن وعلومه، ومن الفقه والحديث والشعر وعلوم العرب. فقال له علي بن عيسى تعلمك لطهورك وفروضك أجدى عليك من رسائل لا تدري أنت ما تقول فيها. كم تكتب ويلك، إلى الناس؛ ينزل ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته. ما أحوجك إلى أدب. وأمر به فصُلب في الجانب الشرقي

بحضرة مجلس الشرطة، وفي الجانب الغربي. ثم حُمل إلى دار السلطان فحُبس، فجعل يتقرب بالسُنّة إليهم، فظنوا أن ما يقول حقّ. ورُوي عنه أنه في أول أمره كان يدعو إلى الرضا من آل محمد، فُسعي به وأُخذ بالجبل فضُرب بالسوط. ويقال أنه دعا أبا سهل النوبختي، فقال لرسوله أنا رأس مذهب، وخلفي ألوف من الناس يتبعونه باتباعي له، فأنبت لي في مقدم رأسي شعراً، فإن الشعر منه قد ذهب، ما أريد منه غير هذا. فلم يعد إليه الرسول. وحرّك يوماً يده فانتثر على قوم مسكاً، فحرك مرة أخرى يده فنثر دراهم؛ فقال له بعض من يفهم ممن حضر: أرى دراهم معروفة، ولكني أؤمن بك وخَلقٌ معي، إن أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك. فقال: وكيف وهذا لم يصنع؟ قال: مَنْ أحضر ما ليس بحاضر، صنع ما ليس بمصنوع.

ودُفع إلى نصر الحاجب، واستغواه. وكان في كتبه، إني مُغْرق قوم نوح، ومُهْلك عاد وثمود. فلما شاع أمره وذاع، وعُرّف السلطان خبره على صحته، وقّع بضربه ألف سوط وقطع يديه، ثم أحرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلثمائة.

السبب في أخذه

قرأت بخط أبي الحسن بن سنان. ظهر أمر الحلاج وانتشر ذكره في سنة تسع وتسعين ومائتين. وكان السبب في أخذه أن صاحب البريد بالسوس اجتاز في موضع بالسوس يعرف بالربض في القطعة فرأى امرأة في بعض الأزقة وهي تقول: إن تركتموني وإلا تكلمت. فقال لأعراب معه: اقبضوا عليها، وقال لها: أي شيء عندك، فجحدت، فأحضرها منزله وتهددها، فقالت: قد نزل في جانب داري رجل يعرف بالحلاج؛ وله قوم يصيرون إليه في كل ليلة ويوم خفياً، ويتكلمون بكلام منكر. فوجه من ساعته إلى جماعة من أصحابه وأصحاب السلطان، وأمرهم بكبس الموضع ففعلوا فأخذوا رجلاً أبيض الرأس واللحية، قبضوا عليه وعلى جميع ما معه، وكان جملة من العين، والمسك، والثياب، والعصفر، والعنبر، والزعفران. فقال: ما تريدون مني؟ فقالوا: أنت

الحلاج؟ فقال: لا ما أنا هو ولا أعرفه، فصاروا به إلى منزل علي بن الحسين صاحب البريد، فحبسه في بيت وتوثق منه. وأخذ له دفاتر وكتب وقماش وفشا الخبر في البلد واجتمع الناس للنظر إليه، فسأله علي بن الحسين: هل انت الحلاج؟ فأنكر أن يكون هو، فقال رجل من أهل السوس: أنا أعرفه بعلامة في رأسه، وهي ضربة، ففُتش فأصيب كذاك. وكان السلطان أخذ غلاماً للحلاج يعرف بالدباس، وأطال حبسه وأوقع به مكروهاً، ثم خلّاه بعد أن كفله وأحلفه أنّه يطلب الحلاج ويذل له مالاً، وكان يجول البلاد خلفه. واتفق أن دخل السوس في دلك الوقت وعرف الخبر، فبادر وعرّف السلطان الصورة وتحقق أمره فحمل، وكان من امره ما كان.

والذي صمد لقتله وقام في ذلك، حامد بن العباس. وقد كاد السلطان أن يطلقه، لأنه نمس عليه وعلى من في داره من الخدم والنساء بالدعاء والعوذ والرقى. وكان يأكل اليسير ويصلِّي الكثير، ويصوم الدهر. فاستغواهم واسترقهم. وكان نصر القشوري يسميه الشيخ الصالح. وإنما غلط وحامد يقرّره. وقد رُمي ببعض الأمر فقال: أنا أباهلكم، فقال حامد: الآن صح أنك تدعي ما قُذِفْتَ به، فقُتل وأُحرق.

أسماء كتب الحلاج

كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية. كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكُلّية. كتاب الظل المدود والماء المسكوب والحياة الباقية. كتاب حمل النور والحياة والأرواح. كتاب الصيهون. كتاب تفسير قل هو الله أحد. كتاب الأبد والمأبود. كتاب قران القرآن والفرقان. كتاب خلق الإنسان والبيان. كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان. كتاب الأصول والفروع. كتاب سر العالم والمبعوث. كتاب العدل والتوحيد. كتاب السياسة والخلفاء والأمراء. كتاب علم البقاء والفناء. كتاب شخص الظلمات. كتاب نور النور. كتاب المتجليات. كتاب الهياكل والعالَم والعالِم. كتاب مدح النبي

والمثل الأعلى. كتاب الغريب الفصيح. كتاب النقطة وبدو الخلق. كتاب القيامة والقيامات. كتاب الكبر والعظمة. كتاب الصلاة والصلوات. كتاب خزائن الخيرات ويعرف بالألف المقطوع والألف المألوف. كتاب مَوابيد العارفين. كتاب خلق خلائق القرآن والاعتبار. كتاب الصدق والإخلاص. كتاب الأمثال والأبواب. كتاب اليقين. كتاب التوحيد. كتاب النجم إذا هوى. كتاب الذاريات ذرواً. كتاب في إن الذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد. كتاب الدّرّة، إلى نصر القشوري. كتاب السياسة، إلى الحسين بن حمدان. كتاب هُوَ هُوَ. كتاب كيف كان وكيف يكون. كتاب الوجود الأول. كتاب الكبريت الأحمر. كتاب السمري وجوابه. كتاب الوجود الثاني. كتاب لا كيف. كتاب الكيفية والحقيقة. كتاب الكيفية بالمجاز.

ملحق ثان

من أخبار الحلّاج

قال إبراهيم بن فاتك: دخلت يوماً على الحلاّج في بيت له على غفلة منه فرأيته قائماً على هامة رأسه وهو يقول: يا من لازمني في خَلَدي قرباً، وباعدني بُعْدَ القِدَمَ من الحدث غيباً. تتجلّى عليَّ حتى ظننتك الكل، وتُسلَب عنّي حتى أشهد بنفيك، فلا بُعدك يبقى، ولا قُربك ينفع، ولا حربك يغني، ولا سِلْمك يؤمن. فلمّا أحسّ بي قعد مستوياً وقال: أدخل ولا عليك. فدخلتُ وجلست بين يديه، فإذا عيناه كشعلتي نار. ثم قال: يا بنيّ إنّ بعض الناس يشهدون عليّ بالكفر، وبعضهم يشهدون لي بالولاية، والذين يشهدون عليّ بالكفر أحبّ إليّ وإلى الله من الذين يقرّون لي بالولاية. فقلت: يا شيخ ولِمَ ذلك. فقال: لأنّ الذين يشهدون لي بالولاية من حُسن ظنهم بي، والذين يشهدون عليّ بالكفر تعصّباً لدينهم، ومن تعصَّب لدينه أحبّ إلى الله ممّن أحسن الظنّ بأحدٍ.

ثم قال لي: وكيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد صُلبت وقُتلت وأحرقت، وذلك أسعد يوم من أيّام عمري جميعه. ثم قال لي: لا تجلس واخرج في أمان الله.

* * *

عن الشيخ إبراهيم بن عمران النيلي أنه قال: سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط، والخط كلُّه نُقَط مجتمعة. فلا غنًى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها. وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلّي الحقّ من كل ما يُشاهَد وترائيه عن كل

ما يُعايَن. ومن هذا قُلتُ: ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ الله فيه.

* * *

عن بن الحدّاد المصري قال: خرجت في ليلةٍ مقمِرة إلى قبر أحمد بن حنبل رحمه الله، فرأيت هناك من بعيد رجلاً قائماً مستقبلاً القبلة. فدنوت منه من غير أن يعلم، فإذا هو الحسين بن منصور وهو يبكي ويقول: يا مَن أسكرني بحُبّه، وحيّرني في ميادين قربه، أنت المنفرد بالقِدَم، والمتوحّد بالقيام على مقعد الصدق، قيامك بالعدل لا بالاعتدال، وبُعدك بالعزل لا بالاعتزال، وحضورك بالعلم لا بالانتقال، وغيبتك بالاحتجاب لا بالارتحال. فلا شيء فوقك فيُظلّك، ولا شيء تحتك فيقُلّك، ولا أمامك شيء فيجدك، ولا وراءَك شيء فيدركك. أسألك بحرمة هذه التُرَاب المقبولة والمراتب المسؤولة، أن لا تردّني إليّ بعدما اختطفتني منّي، ولا تُرِيَني نفسي بعدما حجبتها عنّي، وأكْثِرْ أعدائي في بلادك، والقائمين لقتلي من عبادك. فلمّا أحسّ بي التفت وضحك في وجهي ورجع وقال لي: يا أبا الحسن، هذا الذي أنا فيه أوّل مقام المريدين. فقلت تعجّباً: ما تقول يا شيخ، إن كان هذا أوّل مقام المريدين فما مقام مَن هو فوق ذلك؟ قال: كذبتُ هو أوّل مقام المسلمين لا بل كذبت هو أوّل مقام الكافرين. ثم زعق ثلاث زعقات وسقط وسال الدم من حلقه. وأشار إليّ بكفّه أن اذهب، فذهبت وتركته فلمّا أصبحت رأيته في جامع المنصور فأخذ بيدي ومال بي إلى زاوية وقال: بالله عليك لا تُعلم أحداً بما رأيتَ منّي البارحة.

* * *

عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الحلواني قال: خدمت الحلاّج عشر سنين وكنت من أقرب الناس إليه. ومن كثرة ما سمعت الناس يقعون فيه ويقولون إنه زنديق توهمتُ في نفسي فاختبرتُه. فقلت له يوماً: يا شيخ أريد أن أعلم شيئاً من مذهب الباطن. فقال: باطن الباطل أو باطن الحق؟ فبقيت متفكراً فقال: أمّا باطن الحقّ فظاهره الشريعة، ومن يحقّق في ظاهر الشريعة ينكشف له باطنها، وباطنها

المعرفة بالله. وأمّا باطن الباطل فباطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، فلا تشتغل به. يا بنيّ أذكر لك شيئاً من تحقيقي في ظاهر الشريعة. ما تمذهبتُ بمذهب أحد من الأيّمة جملةً وإنما أخذت من كل مذهب أصعبه وأشدَّه وأنا الآن على ذلك، وما صلّيتُ صلاة الفرض قطُّ إلا وقد اغتسلتُ أوّلاً ثم توضّأت لها. وها أنا ابن سبعين سنة وفي خمسين سنة، صلّيت صلاة ألفَي سنة، كل صلاة قضاء لما قبلها.

* * *

قال إبراهيم الحلوانيّ: دخلت على الحلاّج بين المغرب والعِشاء فوجدته يصلّي. فجلست في زاوية البيت كأنه لم يحسّ بي لاشتغاله بالصلاة. فقرأ سورة البقرة في الركعة الأولى وفي الركعة الثانية آل عمران. فلمّا سلّم سجد وتكلّم بأشياء لم أسمع بمثلها، فلمّا خاض في الدعاء رفع صوته كأنه مأخوذ عن نفسه ثم قال: يا إلٰه الآلهة، ويا ربّ الأرباب، ويا من ﴿**لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ**﴾ رُدّ إليَّ نفسي لئلاّ يفتتن بي عبادك. يا هو أنا وأنا هو، لا فرق بين أنيّتي وهويّتك إلاّ الحدث والقِدَم. ثم رفع رأسه ونظر إليّ وضحك في وجهي ضحكاتٍ، ثم قال: يا أبا إسحاق أما ترى أنّ ربّي ضرب قِدَمه في حدثي حتى اسْتَهْلَكَ حدثي في قِدَمه، فلم يبقَ لي صفة إلاّ صفة القديم، ونُطقي في تلك الصفة. والخلق كلّهم أحداث ينطقون عن حدث. ثم إذا نطقتُ عن القِدَم ينكرون عليّ ويشهدون بكفري ويسعون إلى قتلي. وهم بذلك معذورون، وبكل ما يفعلون بي مأجورون.

* * *

عن جندب بن زادان الواسطي وكان من تلامذة الحلاّج، قال: كتب الحسين بن منصور كتاباً هذه نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم المتجلّي عن كل شيء لمن يشاء. السلام عليك يا ولدي، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر. فإنّ ظاهر الشريعة كفر خفيّ، وحقيقة الكفر معرفة جليّة. أمّا بعد حمدٍ لله الذي يتجلّى على رأس

إبرة لِمَن يشاء، ويستتر في السموات والأرضين عمّن يشاء، حتى يشهد هذا بأن لا هو، ويشهد ذلك بأن لا غيره. فلا الشاهد على نفيه مردود، ولا الشاهد بإثباته محمود. والمقصود من هذا الكتاب أنّي أوصيك أن لا تغترّ بالله ولا تيأس منه، ولا ترغب في محبّته ولا ترض أن تكون غير مُحِبّ، ولا تَقُلْ بإثباته ولا تَمِلْ إلى نفيه، وإيّاك والتوحيد. والسلام.

* * *

قال الحلواني: كنت مع الحلاّج وثلاثة نفر من تلاميذه وواسطَت قافلتي من واسط إلى بغداد. وكان الحلاّج يتكلم فجرى في كلامه حديث الحلاوة. فقلنا: على الشيخ الحلاوة. فرفع رأسه وقال: يا من لم تصل إليه الضمائر، ولم تمسّه شُبَه الخواطر والظنون، وهو المترائي عن كل هيكل وصورة، من غير مماسّة ومزاج. وأنت المتجلّي عن كل أحد، والمتحلي بالأزل والأبد. لا توجَد إلاّ عند اليأس، ولا تظهر إلاّ حالَ الالتباس. إن كان لقربي عندك قيمة، ولإعراضي لديك عن الخلق مزيّة، فائتنا بحلاوة يرتضيها أصحابي. ثم مال عن الطريق مقدار ميل فرأينا هناك قطَعاً من الحلاوة المتلونّة، فأكلنا ولم يأكل منه. فلمّا استوفينا ورجعنا خطر ببالي سوء ظنّ بحاله، وكنت لا أقطع النظر عن ذلك المكان وحافظته أحْوَط ما يحافَظ مثله. ثم عدلت عن الطريق للطهارة وهم ذاهبون، ورجعت إلى المكان فلم أرَ شيئاً. فصلّيت ركعتين وقلت: اللهم خلّصني من هذه التهمة الدنيّة. فهتف لي هاتف: يا هذا أكلتم الحلاوة على جبل قاف وتطلب القِطَع ههنا أحسن همّك، فما هذا الشيخ إلاّ ملك الدنيا والآخرة.

* * *

عن علي بن مردويه قال: سمعت الحسين بن منصور قد سلّم عن الصلاة فقال: اللهمّ، أنت الواحد الذي لا يتمّ به عدد ناقص، والأحد الذي لا تدركه فطنة غائص، وأنت **﴿في السماء إله وفي الأرض إله﴾** أسألك بنور وجهك الذي أضاءت به قلوب العارفين، وأظلمت منه أرواح

المتمردّين، وأسألك بقدسك الذي تخصّصتَ به عن غيرك، وتفردّتَ به عمّن سواك، أن لا تُسَرِّحني في ميادين الحيرة، وتنجيني من غمرات التفكّر، وتوحشني عن العالم، وتؤنسني بمناجاتك، يا أرحم الراحمين. ثم سكت ساعةً وترنّم، ورفع صوته في ذلك الترنّم وقال: يا من اسْتُهْلِكَ المحبّون فيه، واغترّ الظالمون بأياديه. لا يبلغ كنه ذاتك أوهام العباد، ولا يصل إلى غاية معرفتك أهل البلاد. فلا فرق بيني وبينك إلاّ الإلهيّة والربوبيّة. وكانت عيناه في خلال الكلام تقطر دماً. فلمّا التفت إليّ ضحك فقال: يا أبا الحسن خذ من كلامي ما يبلغ إليه علمك، وما أنكره علمك فاضرب بوجهي ولا تتعلّق به، فتضلّ عن الطريق.

* * *

عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن مردويه قال: رأيت الحلاّج في سوق القطيعة ببغداد باكياً يصيح: أيّها الناس أغيثوني عن الله، ثلاث مرّات، فإنه اختطفني منّي وليس يردّني عليّ، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة، وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً. والويل لمن يغيب بعد الحضور، ويهجر بعد الوصل. فبكى الناس لبكائه حتى بلغ مسجد عتّاب فوقف على بابه وأخذ في كلام فهم الناس بعضه وأشكل عليهم بعضه. فكان ممّا فهمه الناس أنه قال: أيّها الناس. إنه يحدّث الخلق تلّطفاً فيتجلّى.

* * *

قال عبد الكريم بن عبد الواحد الزعفراني: دخلت على الحلاّج وهو في مسجد وحوله جماعة وهو يتكلم فأوّل ما اتصل بي من كلامه أنه قال: لو أُلقِيَ ممّا في قلبي ذرّة على جبال الأرض لذابت، وإنّي لو كنت يوم القيامة في النار لأحرقت النار، ولو دخلت الجنّة لانهدم بنيانها. ثم أنشأ يقول:

عجِبتُ لِكلّي كيف يحملهُ بَعضِي — ومِن ثِقلِ بعضِي ليسَ تحملني أرضِي
لئن كانَ في بسطٍ مِن الأرضَ مضجعٌ — فقلبي على بسطٍ من الخَلق في قبضِ

* * *

قال أحمد بن أبي الفتح بن عاصم البيضاوي: سمعت الحلاج يملي على بعض تلامذته: إنّ الله ﴿تبارك وتعالى وله الحمد﴾ ذات واحد قائم بنفسه، منفرد عن غيره بقدمه، متوحد عمّن سواه بربوبيته. لا يمازجه شيء، ولا يخالطه غيرٌ، ولا يحويه مكان، ولا يدركه زمان، ولا تقدّره فكرة، ولا تصوّره خطرة، ولا تدركه نظرة، ولا تعتريه فترة. ثم طاب وقته وأنشأ يقول:

جنوني لك تقديسُ وظنّي فيكَ تهويسُ

وقد حيّرني حبٌّ وطَرْفٌ فيه تقويسُ

وقد دلّ دليلُ الحُـ ـبِّ أنّ القربَ تَلبيسُ

ثم قال: يا ولدي، صُن قلبك عن فكرِهِ، ولسانك عن ذكره، واستعملهما بإدامة شكره. فإنّ الفكرة في ذاته والخطرة في صفاته والنطق في إثباته، من الذنب العظيم والتكبّر الكبير.

* * *

عن أبي نصر أحمد بن سعيد الأسبينجاني يقول: سمعت الحلاّج يقول: ألزم الكلَّ الحدثَ لأنَّ القدمَ له. فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه، والذي بالإرادة اجتماعه فقواها تمسكه، والذي يؤلّفه وقت يفرّقه وقت، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسّه، والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه. ومن آواه محلّ أدركه أين. ومن كان له جنس طالبه كيف، إنه تعالى لا يظِلُّه فوق، ولا يُقلّه تحت، ولا يقابله حدّ، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحدّه أمام، ولا يظهره قبل. ولا يُفيته بعد، ولا يجمعه كلّ، ولا يوجده كان، ولا يُفقده ليس. وصفُه لا صفةَ له، وفعله لا علّة له، وكونه لا أَمدَ له. تنزّه عن أحوال خلقه، ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج. باينهم بقِدَمه كما باينوه بحدوثهم. إن قلتَ متى فقد سبق الوقتَ كونُه، وإن قلتَ: هو فالهاء والواو خلقه، وإن قلتَ أين فقد تقدّم المكانَ وجودُه، فالحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، ما

تصورّ في الأوهام فهو بخلافه. كيف يحلّ به ما منه بدأ، أو يعود إليه ما هو أنشأه. لا تماثله العيون، ولا تقابله الظنون. قُربه كرامته، وبعده إهانته، علوّه من غير توقُّل، ومجيئه من غير تنقُّل. ﴿**هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن**﴾ القريب البعيد ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

* * *

عن أبي محمد الجسري قال: رأيت الجنيد ينكر على الحلاّج وكذلك عمرو بن عثمان المَكي وأبو يعقوب النهرجوري وعليّ بن سهل الأصبهاني ومحمد بن داود الأصبهاني وأمّا أبو يعقوب فقد رجع عن إنكاره في آخر عمره، وأمّا عمرو بن عثمان فكان علّة إنكاره أنّ الحلاج دخل مكة ولقي عمراً فلمّا دخل عليه قال له: الفتى من أين؟. فقال الحلاج: لو كانت رؤيتك بالله لرأيت كل شيء مكانه فإن الله تعالى يرى كل شيء. فخجل عمرو وحَرِد عليه ولم يُظهر وحشته حتى مضت مدّة. ثم أشاع عنه أنه قال: يمكنني أن أتكلّم بمثل هذا القرآن. وأمّا عليّ بن سهل فدخل الحلاج أصفهان وكان عليّ بن سهل مقبولاً عند أهلها فأخذ عليّ بن سهل يتكلّم في المعرفة فقال الحسين بن منصور: يا سوقيّ، تتكلم في المعرفة وأنا حيّ. فقال عليّ بن سهل: هذا زنديق. فاجتمعوا عليه وأخرجوه منها. وأمّا الجنيد فكنت عنده إذ دخل شاب حسن الوجه والمنظر وعليه قميصان وجلس سويعةً ثم قال للجنيد: ما الذي يصدّ الخلق عن رسوم الطبيعة. فقال الجنيد: أرى في كلامك فضولاً أيّ خشية تفسدها. فخرج الشابّ باكياً وخرجت على أثره وقلت: رجل غريب قد أوحشه الشيخ. فدخل المقابر وقعد في زاوية ووضع رأسه على ركبته. فرأيت صديقاً لي فقلت له: رأيت بالعجلة شيئاً من الشواء والفالوذج والسكر وخبزاً حُوارَى وماءً مبرّداً والخَلال وقدراً من الأشنان وأنا في الموضع الفلانيّ. فأتيت الشابّ وجلست بين يديه ألاطفه وأداريه حتى جاء بما التمست منه فوضعته بين يديه وقلت له: تفضّل. فمدّ يده وتناول، ثم قلت: الفتى من أين؟ قال: من بيضاء فارس إلاّ أنني رُبّيت بالبصرة. فاعتذرت منه للجنيد فقال: ليس له إلاّ الشيخوخة وإنما منزلة الرجالُ تُعطَى ولا تتعاطى.

وأمّا محمد بن داود فكان فقيهاً والفقيه من شأنه الإنكار على التصوّف. إلاّ ما شاء الله.

* * *

أبو يعقوب النهرجوري قال: دخل الحسين بن منصور مكّة في المرّة الثانية ومعه أربعمائة رجل. فلمّا وصلوا إلى مكة تفرّقوا عنه وبقي معه شرذمة قليلة. فلما أمسوا قلت له: دبّر في عشاء القوم. فقال: أخرج بهم إلى أبي قبيس. فخرجت بهم ومعنا ما نفطر عليه. فلما أكلنا قال الحلاج: ألا تأكلون الحلاوة؟ قلنا: قد أكلنا التمر. فقال: أريد شيئاً مسّته النار. فغاب لحظةً ثم رجع ومعه طبق عليه من الحلواء شيء كثير. فوقع في قلبي شبهة فأمسكت من الحلواء قطعة ودخلت السوق فأريتها الحلوائيين فلم يعرفوها. فقالوا: هذه لا تتخذ بمكة. فرأيت امرأة طبّاخة فأريتها فقالت: هذه تتخذ بزبيد ولكن لا يمكن حملها ولا أدري كيف حُملت. فتأكدت تلك الشبهة. وكانت المرأة عازمة على الخروج إلى زبيد فأوصيتها أن تفحص وتسأل الحلوائيين هل ضاع لأحد منهم طبق حلواء. فلمّا كان بعد أيام كاتبتني أنّ أحد الحلوائيّين بزبيد ضاع له طبق حلواء فتيقنت أنه ساحر ليس يحترز من المظالم. حتى ورد عليّ كتاب آخر من المرأة أن الحسين بن منصور أنفذ إلى الحلوائي ثمن الحلواء وقيمة الطبق وأكثر من ذلك. فزال من قلبي الإنكار عليه وعلمت أنّ ذلك من كراماته.

* * *

قال أحمد بن فاتك: لمّا قُطعت يدا الحلاّج ورجلاه قال: إلهي أصبحت في دار الرغائب، أنظر إلى العجائب. إلهي إنك تتودّد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودّد إلى من يُؤذَى فيك.

* * *

عن أبي يعقوب النهرجوري قال: دخل الحلاّج مكة أوّل دخلة وجلس في صحن المسجد سنةً لم يبرح من موضعه إلاّ للطهارة والطواف ولم يحترز من الشمس ولا من المطر. وكان يُحمل إليه في

كل عشية كوز ماء وقرص من أقراص مكة، وكان عند الصباح يُرى القرص على رأس الكوز وقد عضّ منه ثلث عضّات أو أربعاً فيُحمل من عنده.

* * *

قال أحمد بن فاتك: كنّا بنهاوند مع الحلاج وكان يوم النيروز فسمعنا صوت البوق فقال الحلاج: أيّ شيء هذا؟ فقلت: يوم النيروز. فتأوّه وقال: متى نُنَوْرَز؟ فقلت: متى تعني؟ قال: يوم أُصلَب. فلما كان يوم صلبه بعد ثلاث عشرة سنةً نظر إليّ من رأس الجذع وقال: يا أحمد نُورِزْنا. فقلت: أيّها الشيخ، هل أُتحِفتَ؟ قال: بلى، أُتحِفتُ بالكشف واليقين، وأنا مما أُتحفت به خَجِلٌ غير أنّي تعجّلتُ الفرح.

* * *

عن أحمد بن كوكب عن عمر الواسطي قال: صحبت الحلاج سبع سنين فما رأيته ذاق من الأُدم سوى الملح والخلّ، ولم يكن عليه غير مرقّعة واحدة وكان على رأسه برنس. وكلما فُتح عليه بإزار قَبِلَهُ وآثر به. ولم ينم الليل أصلاً إلاّ سويعةً من النهار.

* * *

عن خوراوزاد بن فيروز البيضاوي وكان من أَخصّ الجيران وأَقربهم إلى الحلاج أنه قال: كان الحلاج ينوي في أوّل رمضان ويفطر يوم العيد وكان يختم القرآن كلّ ليلة في ركعتين وكلّ يوم في مائتي ركعة. وكان يلبس السواد يوم العيد ويقول: هذا لباس من يُردّ عليه عمله.

* * *

قال أحمد بن فاتك: قال الحلاج: من ظنّ أنّ الإلهيّة تمتزج بالبشريّة أو البشريّة تمتزج بالإلهيّة فقد كفر. فإنّ الله تعالى تفرّد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم، فلا يشبههم بوجه من الوجوه، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء. وكيف يُتصوَّر الشبه بين القديم والمحدَث.

ومن زعم أنّ الباريء في مكان أو على مكان أو متّصل بمكان أو يُتصوّر على الضمير أو يُتخايل في الأوهام أو يُدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك.

* * *

عن عثمان بن معاوية أنه قال: بات الحلاج في جامع دينَوَر ومعه جماعة. فسأله واحد منهم وقال: يا شيخ ما تقول فيما قال فرعون؟ قال: كلمة حقّ. فقال: ما تقول فيما قال موسى؟ قال: كلمة حقّ، لأنهما كلمتان جرتا في الأبد كما جرتا في الأزل.

* * *

وعنه أيضاً أنه قال: ما ظهرت النقطة الأصليّة إلاّ لقيام الحجّة بتصحيح عين الحقيقة، وما قامت الحجّة بتصحيح عين الحقيقة إلاّ لثبوت الدليل على أمر الحقيقة.

* * *

وقال: سين ياسين وموسى هما لوح أنوار الحقيقة وإلى الحقّ أقرب من يا ومو.

* * *

وقال أيضاً: صفات البشريّة لسان الحجة على ثبوت صفات الصمديّة وصفات الصمديّة لسان الإشارة إلى فناء صفات البشريّة. وهما طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التوحيد.

* * *

وقال: نزول الجمع ورطة وغبطة، وحلول الفرق فكاك وهلاك. وبينهما يتردّد الخاطران، إما متعلّق بأستار القِدَم، أو مستهلك في بحار العدم.

* * *

وقال: من لاحظ الأزليّة والأبديّة وغمض عينيه عمّا بينهما فقد أثبت التوحيد. ومن غمض عينيه عن الأزليّة والأبديّة ولاحظ ما

بينهما فقد أتى بالعبادة. ومن أعرض عن البين والطرفين فقد تمسّك بعروة الحقيقة.

وقال: من طلب التوحيد في غير لام ألف فقد تعرّض للخَوَضان في الكفر، ومن تعرّف هو الهويّة في غير خطّ الاستواء فقد جاس خِلال الحيرة المذمومة التي لا استراحة بعدها.

* * *

وقال: عين التوحيد مودَعة في السرّ، والسرّ مودَع بين الخاطرين، والخاطران مودَعان بين الفكرتين، والفكرة أسرع من لواحظ العيون ثم أنشأ يقول:

لأنوارِ نور النور في الخلق أنوارُ وللسرّ في سرّ المُسرّين أسرارُ

وللكون في الأكوانِ كوْنٌ مُكوَّنٌ يكنّ له قلبي ويهدى ويختارُ

تأمّل بعين العقل ما أنا واصفٌ فللعقل أسماعٌ وُعاةٌ وأبصارٌ

* * *

وقال: القرآن لسان كل علم، ولسان القرآن الأحرف المؤلّفة، وهي مأخوذة من خطّ الاستواء، أصله ثابت وفرعه في السماء، وهو ما دار عليه التوحيد.

* * *

وقال: الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، وأمّا من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما.

* * *

وقال أحمد بن فارس: رأيت الحلاّج في سوق القطيعة قائماً على باب مسجد وهو يقول: أيّها الناس، إذا استولى الحقّ على قلب أخلاه عن غيره، وإذا لازم أحداً أفناه عمّن سواه، وإذا أحب عبداً حثّ عباده بالعداوة عليه، حتى يتقرّب العبد مقبلاً عليه. فكيف لي ولم أجد من الله شمّةً، ولا قرباً منه لمحةً، وقد ظلّ الناس يعادونني. ثم بكى حتى أخذ أهل السوق في البكاء. فلمّا بكوا عاد

ضاحكاً وكاد يقهقه، ثم أخذ في الصياح صيحاتٍ متواليات مزعجات وأنشأ يقول:

مَواجيدُ حقٍّ أَوجَدَ الحقُّ كلَّها ... وإن عجزت عنها فهومُ الأكابرِ
وما الوجدُ إلاّ خَطرةٌ ثمّ نَظرةٌ ... تُنشّى لهيباً بين تلك السرائرِ
إذا سَكَن الحق السَّريرةَ ضُوعِفَتْ ... ثلاثةَ أحوالٍ لأهلِ البصائرِ
فحالٌ يُبيدُ السِرَّ عن كُنهِ وَصفِه ... ويُحضِرهُ لِلوجد في حال حائرِ
وحالٌ بِه زُمَّتْ ذُرَى السرّ فانثَنَت ... إلى مَنظرٍ أفناهُ عن كلّ ناظرِ

الفهارس

١ ـ فهرس المصادر والمراجع

٢ ـ فهرس المحتويات

١

فهرس المصادر والمراجع(*)

- **الآداب الشعبية والتحولات التاريخية الاجتماعية**: مثال: سيرة بني هلال، عبد الرحمن أيوب. دراسة في مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن عشر، إبريل، مايو، يونيو، ١٩٨٦.
- **أخبار الحلاّج**: ماسينيون. باريس، ١٩٣٦ م.
- **أسطورة الحلاّج**: سامي خرطبيل، دار ابن خلدون، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
- **اللغة المنسية**: إريك فروم. ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١ م.
- **الإمام الجنيد والتصوف في القرن الثالث الهجري**: زهير ظاظا، دار الخير، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**: الشعراني. حققه وقدم له، طه عبد الباقي سرور ومحمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥ م.
- **البداية والنهاية**: ابن كثير (إسماعيل بن عمر). تحقيق أحمد أبو ملحم وغيره. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م.
- **تفسير الأحلام**: بيير داكو، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥ م.

(*) رتبنا المصادر والمراجع ترتيباً ألفبائيًا.

- **تفسير الأحلام**: فرويد، ترجمة مصطفى صفوان، راجعه مصطفى زيّور، دار المعارف، بمصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩ م.
- **الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً**: كامل مصطفى الشيبي. مطبعة المعارف، بغداد، ط ١، ١٩٧٦.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي بيروت، ط ٥، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
- **دائرة المعارف الإسلامية**: مترَجَمة، ترجمها أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها محمد مهدي علّام، دار المعرفة، بيروت، لاط، لات.
- **ديوان الحلاج**: كامل مصطفى الشيبي. بغداد، ط ٢، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- **الرسالة القشيرية في علم التصوف**: القشيري، مكتبة علي صبح وأولاده، ١٩٥٧ م.
- **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**: فيليب سيرنج، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط ١، ١٩٩٢ م.
- **زمن الشعر**: أدونيس. دار العودة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨ م.
- **طبقات الصوفية**: السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٦٩ م.
- **الطواسين وبستان المعرفة**: الحلاج، أعدّ النصوص وقدم لها رضوان السح، دار الينابيع دمشق، ١٩٩٤ م.
- **الفهرست**: النديم (محمد ابن إسحاق) تحقيق رضا تجدد. دار المسيرة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨ م.
- **المعجم الصوفي**: سعاد الحكيم. دندرة، بيروت، ط ١، ١٩٨١ م.
- **مغامرة العقل الأولى**: فراس السواح، دار الكلمة، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.
- **المنحى الشخصي لحياة الحلاج شهيد الصوفية في الإسلام**:

ماسينيون. منشور في كتاب «شخصيات قلقة في الإسلام» عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٣، ١٩٧٨ م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: ابن خلّكان (أحمد بن محمد). تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

٢

فهرس المحتويات

السيرة الشعبية للحلاج

حين سمعت من أحدهم بأن «الجُنيد» قد رجم الحلاج عند إعدامه بوردة حمراء ، فتألم لها أكثر مما تألم من جميع الحجارة التي رجمه بها الناس . أعجبني هذا الخبر ، و ليس مصدر إعجابي أن يتألم الحلاج من وردة ، فأخبار الحلاج تعج بطرائف مثل هذه وأغرب .

لقد كان مصدر إعجابي وعجبي هو هذا التحدي الكبير لمعطيات التاريخ المتفق عليها ، وهي أن الجنيد قد توفي قبل مقتل الحلاج بما يزيد عن عشر سنوات .

وبعد أن سمعت هذا الخبر ثانية أصبحت في شوق إلى معرفة مصدره ، وهكذا بحثت ووصلت إلى **«السيرة الشعبية للحلاج - قصة حسين الحلاج»**، ورأيت فيها مادة خصبة، وما بدأته هو التعرف إلى شخصية الحلاج الأسطورة أو الرمز، ومعرفة موقع هذه الشخصية في الوعي الشعبي ، هذه المعرفة التي لا تقل أهمية -إن لم تكن تفوق - عن مسألة التلمس، عبر الوثيقة التاريخية وذلك لأن هذه الشخصية ميتة في الوثيقة، وحية فاعلة في الوعي .

ورأيت في السيرة الشعبية مادة أكثر أهمية من غرائبيات الكتب الرسمية ، وذلك لأنها تمثل ، برأيي ، خلاصة نهائية لما مكث في الوجدان الشعبي بعد غربلة طويلة .